دور الفلسفة الإسلامية

في النهضة الأوربية

إعداد

د/ سامية عبدالعال أحمد عبدالعال

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

دور الفلسفة الإسلامية في النهضة الأوربية.

سامية عبدالعال أحمد عبدالعال.
القسم: العقيدة والفلسفة، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر بأسيوط، مصر.
(البريد الإلكتروني): samiaabdelaal20@azhar.edu.eg

ملخص:
يتناول هذا البحث : التعريف بالفلسفة الإسلامية ومجالاتها ، وخصائصها، ثم بيان دور الفلسفة الإسلامية في النهضة الأوربية ، مع ذكر أثر علوم المسلمين في تكوين الفكر الأوربي في مختلف ميادينه من طب ، ورياضة وكيماء وفلك، واجتماع ، وتصوف ، وأخلاق ، وغيره ، ويتناول البحث أيضاً أثر الفلسفة الإسلامية في الغرب اللاتيني من خلال المنهج التجريبي وأثره في الغرب ، ونظريه المعرفة والنفس عند ابن سينا ، التوفيق بين الدين والفلسفة عند ابن رشد ، ثم ذكرت اعترافات علماء الغرب بفضل علماء المسلمين ، وختمت أخيراً بالرد على من ينكر الجدية والابتكار في الفلسفة الإسلامية .

الكلمات المفتاحية : دور، الفلسفة، الإسلامية، النهضة، الأوربية.

The role of Islamic philosophy in the European Renaissance.

Samia Abdel-Aal Ahmed Abdel-Aal.
Department: Belief and Philosophy, Islamic Girls College, Al-Azhar University, Assiut, Egypt.
(Email): samiaabdelaal20@azhar.edu.eg

Abstract:
This research deals with: Introducing Islamic philosophy, its fields, and its characteristics, then explaining the role of Islamic philosophy in the European Renaissance, while mentioning the impact of Muslim science on the formation of European thought in its various fields of medicine, sport, chemistry, astronomy, sociology, mysticism, ethics, etc. The research also deals with The impact of Islamic philosophy in the Latin West through the experimental approach and its effect in the West, and the theory of knowledge and self in Ibn Sina, reconciling religion and philosophy with Ibn Rushd, then mentioned the confessions of Western scholars thanks to Muslim scholars, and finally concluded by responding to those who deny the seriousness and innovation in Islamic philosophy.

Keywords: role, philosophy, Islamic, Renaissance, European.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد

فالفلسفة الإسلامية وليده البيئة الإسلامية ، وهى التعبير النهائي المتجدد للأمه الإسلامية ، وليس في حياة المسلمين ولا في تاريخهم من افكار أخطر ولا أدق من هذه الفلسفة الإسلامية ، إنها جوهر حياتهم ومرآه تطورهم ، وانعكاس لما في باطن مجتمعهم من آمال وآلام، ولقد شملت هذه الفلسفة آفاقاً متعددة ، واقتحمت ميادين متسعه ، ميتافيزيقية وطبيعية واخلاقية ، وسياسيه ، وأقامت حضارة ذات طابع خاص يميزها عن غيرها من الحضارات ، ويفصلها عن غيرها من الأمم ؛ ولهذا كان من المحال أن نقول إنها امتداد لحضارة أخرى ، أو صوره غير متكاملة لفلسفات وأفكار سابقه ، فالفلسفة الإسلامية هي أهم حلقات الفكر الإنساني التي لولاها لما ظهرت في القرون الوسطى فلسفة في صوره متقدمة ، ولن تكون هناك نهضه فكريه في أوربا .

وقد ظهر في الإسلام فلاسفة استفاد منهم الغرب في نهضتهم الفكرية، وتحتفظ مكتبات العالم بمؤلفاتهم حتى اليوم ، وتستمر الدراسات والبحوث فيها للاستفادة منها .

وقد أثبت علماء الغرب فضل المفكرين المسلمين على مفكري الغرب

في نهضه العلم والمعرفة ، وقدموا اعترافاتهم في كثير من مؤلفاتهم ، وأثبتت الدراسات المكتبية أن مكتبات الغرب تحفظ آلافاً من مؤلفات مفكري الإسلام ، وتضم مكتبات أوربا وأمريكا نحو مائة ألف مخطوط عربي على أقل تقدير ، هذا سوى ما في مكتبات المستشرقين وأساتذة الجامعات ، وما في أيدى الناس ممن لهم عنايه بالمخطوطات العربية ، والآثار الشرقية .

ويعود اهتمام الفرنجة بالمؤلفات العربية إلى القرن العاشر الميلادي؛ حيث جمعوا ما ألفة العرب في الطب والفلسفة والرياضيات والطبيعيات ، والكيماء والآداب واللغة وغيرها ، وترجموا بعضه إلى لغاتهم ، وازداد اهتمامهم بالمؤلفات العربية إثر احتكاكهم بالمسلمين أثناء الحروب الصليبية ١٠٩٦ –١٢٧٠م ، فاقتنوا كثيراً منها إلى بلادهم [١]

هذا يدل على أن إنتاج الفلاسفة المسلمين قد أثر كثيراً في أفكار فلاسفة الغرب ، وإذا كان طلاب جامعات الغرب قد اهتموا وما يزالون يهتمون بأفكار فلاسفة الإسلام حتى اليوم فعلينا نحن أبناء الإسلام أن نهتم بها أكثر وأكثر لمعرفه سبب تقدم هؤلاء ، وسر نجاحهم في أعمالهم العلمية والفلسفية

وهذا هو السبب بعينه الذى دعاني إلى كتابة هذا البحث .

---

(١) انظر: دراسات في الفلسفة الإسلامية – السيد محمد عقيل – صـ١٠ – دار الحديث بالقاهرة .

أسباب اختيار الموضوع :

١- توجيه الباحثين من أبناء الأمه الإسلامية إلى قراءة ودراسة كتب فلاسفة الإسلام كمؤلفات ابن سينا ، وابن رشد والفارابي والكندي ، والرازي والغزالي وغيرهم ؛ إذ لا شك أن مؤلفات هؤلاء الفلاسفة تحتوى على كنوز من العلم والمعرفة ، ونحن لم نُعْطِيهاَ حقها من البحث والدراسة ، لكن علماء أوربّا سبقونا في الاهتمام بها، وأفادوا منها حق الإفادة فأحدثوا بفضل علوم المسلمين ومعارفهم ثوره في عالم الفكر والمعرفة في بلادهم ، فلنبحث إذن عن كتب القدماء ونقوم بدراستها والاستفادة منها .

٢- التأكيد على أن السبب الرئيس في نهضه أوربا هو الفكر الإسلامي الأصيل المستمد من الكتاب والسنه ، وأن وأربا لم تتقدم إلا بعد اطلاعها على علوم المسلمين ، ومحاولة دراستها دراسة جيدة ، وتطبيقها في مجال العلم والمعرفة .

٣- أننا بدراستنا للفلسفة الإسلامية نصل أنفسنا بتراثنا الفلسفي ، ولا شك أن من لا ماضي له ، لا حاضر ولا مستقبل له .

٤- الرد علـــى بعض المستشرقين الذين ينكرون وجـــود فلسفة إسلامية، ويقولون أنها ترديد للفلسفة اليونانية .

منهج البحث :

لقد اتبعت في هذا البحث المناهج الآتية :

١- المنهج التحليلي : محلله ماهية الفلسفة الإسلامية ومجالاتها وخصائصها ، وأثرها في الغرب ، والتأكيد على أن لدى المسلمين

تفكيراً خالصاً كان لهم فيه حظٌّ من الابتكار .

٢- المنهج التاريخي : بسرد ما حققه علماء المسلمين من إنجازات هائلة في عالم الفكر والمعرفة ، واعتراف بعض علماء الغرب بهذه الإنجازات .

٣- المنهج النقدي : حيث قمت بنقد آراء المستشرقين الذين ينكرون الجدية والابتكار في الفلسفة الإسلامية .

خطه البحث :

لقد اشتمل البحث على مقدمة ، وتمهيد وخمسة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة : فذكرت فيها موجزاً عن الفلسفة الإسلامية وأسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث .

المبحث الأول ويشتمل على:

أولاً : التعريف بالفلسفة الإسلامية .

ثانياً : مجالات الفلسفة الإسلامية .

ثالثاً : خصائص الفلسفة الاسلامية .

المبحث الثاني: الفلسفة الإسلامية والنهضة الأوربية ويشتمل على .

أولاً : دور الفلسفة الإسلامية في النهضة الاوربية .

ثانياً : أثر علوم المسلمين في تكوين الفكر الأوربي في مختلف مجالاته .

المبحث الثالث : أثر الفلسفة الإسلامية في الغرب اللآتينى ويشتمل على.

أولاً : المنهج التجريبي وأثره في نهضه أوربا .

ثانياً : النفس عند ابن سينا.

ثالثاً: المعرفة عند ابن سينا .

رابعاً : التوفيق بين الدين والفلسفة .

المبحث الرابع : اعتراف علماء الغرب بفضل علماء المسلمين .

المبحث الخامس:الرد على من ينكر الجدية والابتكار في الفلسفة الإسلامية .

والخاتمة : ذكرت فيها أهم نتائج البحث ومصادرة وفهارسه .

المبحث الأول

أولاً : التعريف بالفلسفة الإسلامية

الفلسفة الإسلامية : يقصد بها عند مؤرخي الفلسفة : الإنتاج الفلسفي لأعلام من الفلاسفة الذين ظهروا في الحضارة الإسلامية وأشهرهم ابن سينا " أبو على حسين بن عبدالله بن سينا ٣٧٠ – ٤٢٨هـ " .

وابن رشد " أبو الوليد محمد بن محمود المعروف بابن رشد ٥٢٠ – ٥٩٥ هـ والكندي " أبو يوسف بن إسحاق الكندي ١٨٥ – ٢٦٠ هـ .

والفارابي " أبو النصر محمد بن محمد طرخان المعروف بالفارابي ٢٥٩ – ٣٣٩ هـ . (١)

فالفلسفة الإسلامية هي نتاج فلاسفة الإسلام وجهدهم بعد إعمال فكرهم .

ثانياً : مجالات الفلسفة الإسلامية

الفلسفة الإسلامية تحتوى على ما يمكن أن نطلق عليه الفلسفة التقليدية ذات الاستلهام اليوناني ، وهم بالتحـديد ، الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، واخوان الصفا ، وابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد ، ولكن على الرغم من ذلك ، فلا بد أن نعترف أن كل واحد من الفلاسفة المسلمين

---

(١) انظر : بحوث في الفلسفة د/ يحيي هاشم حسن فرغل صـ ١٥١– مطبعة عبير – حدائق حلوان – القاهرة .

المتأثرين بالفلسفة الإغريقية ، كانت له شخصيته الفلسفية الخاصة به ، وأنهم مع وحده المصدر أو المصادر التي استقوا منها ، مختلفون في الاهتمام والاتجاه والغاية .

كما تحتوي الفلسفة الإسلامية على علم الكلام ، ومقالات الفرق الدينية ، والتصوف والأخلاق ، والأدب الديني ، والمنطق ، وآداب البحث والمناظرة ، وفلسفة التاريخ ، والسياسة بالإضافة إلى مجموعة العلوم الرياضية والحساب ، والجبر، والهندسة والعلوم التجريبية " الفلك ، والكيماء ، والطب " وما يمكن أن يستخلص من هذه العلوم جميعاً ، ويتعلق بمناهج البحث الخاصة والعامة ، ويمكن أن نستشهد في هذا الصدد بالغزالي ت ٥٠٥ هـ الذى كتب في الفلسفة التقليدية ، والمنطق ، وعلم الكلام ، والفقه وأصول الفقه والتصوف والاخلاق ، وكان ابن رشد طبيباً وفيلسوفاً وفقيهاً (١)

ونرى الآن أنه من الضروري أن يضاف إلى مجالات الفلسفة الإسلامية ، مجال فقه اللغة ، وأعمال رجال ، كالفيروزآبادي والخليل ابن أحمد ، وابن المقفع وسيبويه ، وأبى حيان التوحيدي وغيرهم ، كذلك يمكن أن يضاف إليها فقه السيرة النبوية .

كذلك فإنه من الممكن أن تنشأ فلسفة للقيم عامة ، والأخلاق والقيم

---

(١) انظر: الفلسفة الإسلامية د/ حامد طاهر صـ ١٨ – دار الثقافة العربية بالقاهرة.

الإسلامية خاصة ، ومن المجالات المتجددة في الفلسفة الإسلامية موضوع الحوار بين الحضارات " فلسفة الحضارة " وكذلك الحوار بين الأديان ، وأن موضوع الأديان المقارنة اهتم به القرآن الكريم اهتماماً كبيراً ، وهو في صيغته أقرب إلى الفلسفة منه إلى الدراسات الإسلامية المتخصصة . (١)

ثالثا: خصائص الفلسفة الإسلامية

لقد تميزت الفلسفة الإسلامية بخصائص عديدة يصعب أن نجد لها نظيراً في الفلسفات الأخرى ، فوجود مثل هذه الخصائص مجتمعة في هيكل ثقافي واحد ، هو الذى طبع هذه الفلسفة بطابع جديد ومتميز، وأهم هذه الخصائص هي :

١- الفلسفة الإسلامية إلهيه الطابع :

لا شك أن من أهم خصائص الفلسفة الإسلامية ، برغم تأثرها باليونان ،أنها فلسفة إلهيه الطابع ، ونقصد بذلك أن مبحث الذات الإلهية وأدله وبراهين وجود الله ، وكيفيه الصلة بين الله والعالم من جهة ، وبين الله والإنسان من جهة أخرى ، هو واحد من أهم وأبرز مباحثها ، ولقد خصص الفلاسفة الاسلاميون من أمثال الكندي والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ،وابن رشد وأبي البركات البغدادي ،خصصوا صفحات كثيرة للكلام عن صفات الله تعالى ، وصلته بالوجود ، فالفارابي مثلاً وهو يتحدث عن كيفيه صدور العقول العشرة عن الموجود الأول – في آراء أهل المدينة الفاضلة ، لا يتحدث عن صفات الواحد كما جاءت في تاسوعات أفلوطين ،

---

(١) لمحات من تاريخ الفلسفة الإسلامية د/ زكريا إمام – صـــ٤٩ – الدار السودانية للكتب.

وكما هو متوقع ، إذ كان بالفعل مخلصاً لآراء أفلوطين في كيفية صدور الكثرة عن الواحد " بتوسط العقل الأول ، ولكنه بدلاً من ذلك راح يتحدث عن صفات الله كما جاءت في المراجع الإسلامية ... فيتحدث عن نفي الشريك عن الله تعالى ، ونفي الضد عنه ، ونفى الحد عنه سبحانه ، ويتحدث عن أن وحدته عين ذاته ، وأنه تعالى عالم وحكيم ، وأنه حق وحي وسميع بصير إلى آخر تلك الصفات والأسماء للذات الإلهية " (١)

٢- الفلسفة الإسلامية فلسفة روحيه :

سُميت روحية لأنها تعول على الروح تعويلاً كثيراً ، فالأديان السماوية تخاطب القلوب عاده قبل أن تخاطب العقول ، ويرى فلاسفة الإسلام أن الروح مصدر الحركة والحياه ، والأدراك ، ووسيلة البهجة والسعادة ، ففي الكائنات العالية نفوس تغذيها وتحركها وتمد بعضها بالعلم والمعرفة ، فهناك نفوس نباتيه ، وأخري حيوانيه ، وثالثة إنسانية ، ولكل فلك من الأفلاك السماوية نفس خاصة به مملوءة شوقاً ورغبة في الكمال ؛ فتتحرك وتحرك فلكها ، ورئيس المدينة الفاضلة أو الجمهورية المثلى بشر سمتْ نفسه ، وتخلصت من شوائب البدن ... وأضحى نبياً أو فيلسوفاً يسوس الناس بالحكمة ، ويدبر شئونهم بالعدل والقسطاط ، وبهذا الطابع الروحي استطاعت الفلسفة الإسلامية أن تقترب من الفلسفة المدرسية ... بل وأن تتلاقى مع الفلسفات الحديثة والمعاصرة، وما كان لرجال الدين في القرون الوسطي أن ينكروا فلسفة تقول بالخلق والابداع وتبرهن على خلود

---

(١) انظر: لمحات من تاريخ الفلسفة الإسلامية د/ زكريا أمام ط الأولى صـ ١١الدار السودانية للكتب .

الروح ، وتؤمن بالجزاء والمسئولية ، والبعث والسعادة الأُخرويه " [١]

٣ – أنها فلسفة عقلية :

تعتد الفلسفة الإسلامية بالعقل اعتداداً كبيراً ، وتعول عليه التعويل كله في تفسير مشكلة الألوهية ، والكون ، والإنسان ، وفلاسفة الإسلام بنزعتهم العقلية يلتقون مع المعتزلة في تعظيم العقل والنزول عند حكمه ، وقد سموا مفكري الإسلام الأحرار ، حكموا العقل في أمور كثيرة ، فاتفقوا على أن الإنسان قادر بعقلة على التميز بين حسن الأشياء وقبحها ، وعلى التفرقة بين الخير والشر قبل ورود الشرع ، وقالوا بالصلاح والأصلح وقرروا حريه الإرادة، وقدره العبد على خلق أفعالة ، وبالجملة يعد المعتزلة في مقدمه العقليين في الإسلام ، وهم أقرب الفرق الإسلامية إلى الفلاسفة [٢]

٤ - التفاعل الايجابي والانفتاح

لعل من الخصائص التي تجعل من الفلسفة الإسلامية كائناً حياً شديد التأثير فيما حوله ، تلك الخاصية الإيجابية التي تجعل منه كائناً متصل الجسور بالتراث الفلسفي الإنساني أينما وجد ، ولئن تأثرت الفلسفة الإسلامية بالتراث الفلسفي اليوناني فذلك للخصائص الذاتية لذلك التراث

---

(١) انظر: آراء آهل المدينة الفاضلة – الفارابي صـ ٥٩ –٦١ طـ مكتبه صبيح بالقاهرة وانظر: في الفلسفة الإسلامية . د/ ابراهيم مد كور صـ ١٥٥ جـ ٢ دار المعارف

(٢) في الفلسفة الإسلامية د/ إبراهيم مد كور صـ ١٥٦.

والتي تجعله مؤثراً أكثر من غيره ، فكما تأثرت الفلسفة الإسلامية بالحضارات السابقة لها فإنها كذلك أثرت أبلغ الأثر في الحضارة الغربية التي جاءت بعدها ، خاصه في مجال المناهج والعلوم ، وفي مجال الفلسفة الاجتماعية والقانونية ، وفى مجال الحضارة بوجه عام ، وما ذلك إلا لأن روح الفلسفة الإسلامية روح علمية موضوعية [١]

(١) لمحات من تاريخ الفلسفة الإسلامية د/ زكريا أمام صـــ١٣ الدار السودانية للكتب.

المبحث الثاني

الفلسفة الإسلامية والنهضة الأوربية

أولاً : دور الفلسفة الإسلامية في النهضة الأوربية

لقد لعبت الفلسفة الإسلامية دوراً خطيراً في تاريخ التقدم الإنساني في كل الميادين ، وتركت آثاراً بعيده المدى قويه التأثير فيما وصلت إليه الحضارة الحديثة ، ففي ميدان الفلسفة والعلوم من طب ورياضيات ، وكيماء ، وجغرافيا ، وفلك ، أفاقت أوربا على صوت علمائنا وفلاسفتنا يدرسون هذه العلوم في مساجد إشبيلية وقرطبة ، وغرناطة ، وغيرها ، وكان رواد الغربيين الأُول إلى مدارسنا شديدي الأعجاب والشغف بكل ما يستمعون إليه من هذه العلوم في جو من الحرية لا يعرفون له مثيلاً في بلادهم ، ففي الوقت الذى كان فيه علماؤنا يتحدثون في حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويتها ، وحركات الأفلاك والأجرام السماوية ، كانت عقول الأوربيين تمتلئ بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق كلها ، ومن ثم ابتدأت عند الغربيين حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، وعَدت كتب علمائنا تدرس في الجامعات الغربية ، فقد ترجم كتاب القانون في الطب لابن سينا في القرن الثاني عشر كما ترجم كتاب الحاوي للرازي ، وهو أوسع من القانون وأضخم في نهاية القرن الثالث عشر ، وظل هذان الكتابان عمدة لتدريس الطب في الجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر، أما كتب الفلسفة فقد استمرت أكثر من ذلك ولم يعرف الغرب فلسفة اليونان إلا عن طريق مؤلفاتنا وترجماتنا ، ومن هنا يعترف كثير من الغربيين المنصفين بأننا كنا في القرون الوسطى أساتذة أوربا مدة

لا تقل عن ستمائة سنة [١]

فقد بني رجال أوربا بما تعلموه في معاهد المسلمـــين بالأندلس ، وبما نقلوه من علوم ، بنوا أسس النهضة الحديثة التي ظهرت بوادرها في القرن الثامن عشر وازدهرت في القرن العشرين.

والإسلام بدعوته إلى العلم هو الذى خرج جهابذة الفكر ورجال الحضارة أمثال ابن الهيثم وابن البيطار ، وابن سينا ، وابن النفيس ، وابن زهر ، وابن بطوطه ، والكندي ، والبغدادي ، والرازي، والقزويني ، والأنطاكي ، والخوارزمي ، والأدرسي ، والمسعودي ، والحافظ وغيرهم ممن أفادوا الإنسانية .[٢]

ثانيـاً : اثـر علـوم المسـلمين في تكـوين الفكـر الأوربـي في مختلـف ميادينه:

١- في مجال الفلسفة

اثر الفلاسفة المسلمون العرب في أوربا عندما ترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية ، وبعض اللغات الأوربية الحديثة ، فترجم يوحنا الاسباني منطق

---

(١) انظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا – المؤلف – مصطفى بن حسنى السباعي ، طـ الأولى جـ ١ صـ ٨٣ – الناشر دار الوراق للنشر والتوزيع – بيروت .

(٢) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة ، وراجع كتاب الحضارة الإسلامية ، د/أحمد عبدالرحيم السايح طـ العاشرة جـ١ صـ ٧٧ ، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ابن سينا ، وترجم " غنصالفه " بمساعدة يوحنا الاسباني قسم الطبيعيات ، وقسم النفس ، وقسم الإلهيات من كتاب الشفاء لابن سينا ، كما ترجموا كتاب مقاصد الفلاسفة للإمـــام الغزالي ، وقد أهتم علماء أوربا بهذا الكتاب اهتماماً بالغاَ ، وقاموا بترجمته إلى اللغة اللآتنيه والإسبانية القديمة والعبرية ، بالإضافة إلى ذلك قام علماء اليهود بشرحة ، وتوجد مخطوطات هذه الشروح في مكتبات أوربا وهذه الحقيقة التاريخية أن دلت على شئ إنما تدل على تأثير كتاب المقاصد في مفكري أوربا لما فيه من صحة موضوعاته التي تعبر عن حقيقة الفلسفة اليونانية [١] .

وقد تأثر شيخ المترجمين " غنصالفه " بآراء فلاسفة الإسلام فألف كتباً نجد فيها آثار الفلسفة الإسلامية ، ومن أشهر كتبه التي بدأ فيها تأثير ابن سينا هو كتاب " صدور العالم " وكتاب ، " خلود النفس " وكتاب " في التوحيد " ، وعندما بدأ الأوربيون قراءه كتب فلاسفة الإسلام بدأت النهضة الحقيقية للفكر الفلسفي الأوربي .

وأول من أدخل فلسفة ابن رشد إلى أوربا ميخائيل سكوت عام ١٢٣٠ ، ولم يأت منتصف القرن الثالث عشر حتى كانت جميع كتب هذا الفيلسوف قد ترجمت إلى اللاتينية ورساله حي بن يقظان لمؤلفها أبى بكر

---

(١) انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس د/ خليل إبراهيم السامرائي ، د/عبدالواحد ذيون طه ، و د/ ناطق صالح مصلوب ، طـ الأولى جـ ١ صـ ٤٨١ الناشر – دار الكتب الجديدة ، بيروت ، لبنان وراجع دراسات في الفلسفة الإسلامية د/ السيد محمد عقيل المهذلي صـ ١٧٣ دار الحديث بالقاهرة .

بن طفيل ترجمت إلى العبرية في القرن الخامس عشر الميلادي ، وبتوالي السنين ظهرت ترجمات بلغات مختلفة لهذه الرسالة . (١)

كما كان لابن رشد أكبر فلاسفة الإسلام حظٌ من الترجمة اللآتينية ، ترجمت شروحه على أرسطو في صورها المختلفة من صغيرة وكبيره وتلخيصات ، ويبلغ عددها نحو ٣٨ شرحاُ ترجمت مرتين أولاهما في القرن الثالث عشر ، وعول فيها على الأصول العربية ما أمكن ، والثانية في القرن السادس عشر ، وقامت كلها على العبرية ، وترجمت له غير الشروح كتب أخرى أهمها تهافت التهافت الذى ترجم إلى اللآتينية في القرن الرابع عشر من أصل عربي مرة ، وعبري مرة آخري .

ومما يؤسف له أننا لم نقف بعد على كثير من شروح ابن رشد في أصولها العربية ، ومصدرنا الوحيد فيها حتى الآن ترجمتها اللآتنيه أو العبرية ، وفي هذه الترجمات ما أعان على نشر المذهب الراشدي في الغرب وهيأ مصادر وفيرة لدرسه وبحثه . (٢)

لقد وصلت أوربا إلى قمه التقدم والرقي يوم أن ارتضت لنفسها فلسفه ابن رشد ، ذلك الفيلسوف العملاق الذى قدم نسقاً فلسفياً محكماً ، ويكفى ابن رشد فخراً أن فلسفته كانت معبره عن عظمه الفكر التي تتلاشى

---

(١) انظر تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس صـ ٤٨١.

(٢) انظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د/ إبراهيم مد كور جـ ٢ صـ ١٧٢،١٧٣ ، دار المعارف.

أمامها ، ولا تقترب منها أي عظمة أخري ، ومن الأمور التي يؤسف لها أننا في عالمنا العربي لم نستفد بعد من دروسه الاستفادة الكاملة .

هذا على الرغم من أن أوربا قد استفادت من آراء هذا الفيلسوف واستوعبت دروسه جيداً ، لقد أدت آراؤه العلمية والعقلية إلى التقدم الفكري لأوروبا التي أخذت بآرائه .

فإذا أردنا لأنفسنا الحياة ، إذا أردنا تجديد فكرنا الفلسفي والعربي ، فينبغي علينا أن نستمع إلى صوت ابن رشد ، صوت عميد الفلسفة العقلية في عالمنا العربي ، وعار علينا نحن العرب إذا جهلنا فكره من أفكاره ، وهل يمكن أن نتصور فرنسياً يجهل فكر ديكارت وفوليتر [١] . يجب أن نلتفّ كمفكرين عرب حول أفكار ابن رشد ، ونحدد مواضع الاستفادة منها في حياتنا الأدبية والفكرية .

٢ – في مجال علم الرياضة

في مجال علم الرياضة ظهر العالم المسلم عبدالله الخوارزمي الذى ولد في اقليم خوارزم، وهو أول رجل في العالم يضع أصول علم الجبر، وقد ترجمت كتبه إلى اللآتنيه ، ومن أهم كتب الخوارزمي كتاب الجبر والمقابلة" وهذا الكتاب يعالج المسائل المتصلة بحياتنا اليومية ، وقد ترجم إلى اللآتنيه

(١) راجع بتصرف : الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية د/ عاطف العراقي صـــ٦٤ دار الرشاد بالقاهرة.

إلا أن المترجم اختصر اسمه العربي واكتفى بلفظ الجبر ، وما زالت هذه الترجمة معروفه حتى اليوم باسم الجبر.

أما الكتاب الثاني الذى يخلد ذكر الخوارزمي فهو كتاب صغير في الحساب الهندي ، وهو يشرح فيه الأعداد والحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة ، وكذلك الكسور والتضعيف والتصنيف ، وقد انتقل هذا الكتاب إلى الغرب عن طريق إسبانيا ، فقامت في أوربا مدرسه علمية جديده تهتم بدراسة علم الحساب الجديد بأعداده ، وتعرف هذه المدرسة باسم مدرسه الخوارزميين (١) .

فبفضل كتب الخوارزمي عرفت أوربا النظام العشري في الحساب ، كما عرفت أيضاً " الصفر " فأدخلته في نظامها العددي وبذلك استغنت عن الطريقة القديمة في الحساب وهي الطريقة التي كانت تعتمد على القيم العددية للحروف الأبجدية (٢) .

فالمسلمون العرب بأعدادهم وحسابهم وجبرهم نهضوا بأوروبا ودفعوها إلى الحركة العلمية دفعاُ ، ومن ثم استقلت ، واكتشفت واخترعت وتسلمت زعامة العلوم الطبيعية .

---

(١) انظر: شمس الله تشرق على الغرب – د/ سيجريد هونكه صـــ٦٨ ترجمه وحققه – أ – فؤاد حسنين على – دار العلم العربي .

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية د/محمد عبدالرحمن مرحبا صـــ٨٥٥ المجلد الثاني – عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، لبنان وانظر –الفلسفة الحديثة صـــ٥١ دار نازلي إسماعيل – مكتبه وهبه بالقاهرة.

٣ – في مجال علم الطب

في مجال علم الطب كانت مدارس الطب الأوربية تعتمد على كتب المسلمين العرب المترجمة إلى اللآتنيه ، وبخاصه كتاب " الحاوي في الطب " للإمام الرازي الذي جمع فيه جميع الأمراض الكائنة في بدن الأنسان ومعالجاتها ، وسماه الحاوي لأنه يحتوي على جميع الكتب وأقاويل الفضلاء من أهل هذه الصناعة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللآتنيه، وظل مرجعاً في الطب حتى العصر الحديث ، (١)

إليه يعود الفضل في بناء المستشفى كمكان لعلاج المرضي ، وللرازي أيضاً رساله في الجدري والحصبة هي الأولى من نوعها التي صورت هذا المرض تصويراً علمياً صحيحاً ، وقد اعترف علماء القرن الثامن عشر بأنها خير رسالة كتبت في هذا الموضوع ؛ لأن الرازي استطاع أن يميز بين النقرس وغيره كما اكتشف الرازي حشره الجرب وكيف أنها هي السبب في ظهور هذا المرض ، وبالاختصار المفيد ، كان الرازي أكبر مرجع في الحالات العسيرة التي يصعب الفصل فيها تشخيصاً وعلاجاً ، وهو الأمل الأخير لمن يقاسون أشد الآلام ، حتى قصده المرضي من مختلف نواحي البلاد سعياً وراء الشفاء والمعرفة (٢)

---

(١) انظر: الحاوي في الطب – أبوبكر محمد بن زكريا الرازي جـ ١ ، صـ ٢٣ المحقق – هيثم خليفه طعيمي – الناشر دار أحياء التراث العربي لبنان – بيروت .

(٢) انظر: شمس الله تشرق على الغرب – د/ سيجريد هونكه صـ ١٦٩ ، ١٩٥.

كما اعتمد الغرب اللآتيني على كتاب " القانون في الطب لابن سينا الذي ترجم إلى اللآتنيه ، وطبع في أوربا سنه ١٥٩٣ كما طبع في الهند وفي بلاد أخري ، وظلت جامعات أوربا تدرسه حتي أواخر القرن السابع عشر الميلادي (١).

فابن سينا هو أكبر أساتذة الطب ومعلم أوربا فترة لا تقل عن سبعة قرون ، فهو أول من استخدم التشخيص الخلافي مفرقاً بين الالتهاب الذي يصيب الضلوع والالتهاب الرئوي والالم الذي يصيب الأعصاب الوربية وخراج الكبد ، وحالات الالتهاب الأخرى ، وهو أول من شخص أمراض الالتهابات الجلدية فوصفها وصفاً دقيقاً ، كما عرض للالتهاب الرطب والجاف لكيس القلب ، وهذا مرض يخالف سائر أمراض الرئة ، وكذلك مختلف الأمراض التي يتسبب عنها مرض الصفراء ودوده المدينة ، وهي الدودة التي قد توجد تحت أنسجه الجلد (٢).

ولابن سينا أيضاً إسهامات في الصيدلة ، عرض خصائص العديد من النباتات واستخداماتها في العلاج

ونجد أيضاً ابن النفيس وهو أحد العلماء البارزين في تاريخ الطب في الحضارة الإسلامية والعربية ، اذ اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، وأسهم

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د/ محمد على أبو ريان صـ ٣٦٧ دار المعرفة الجامعية.

(٢) انظر: شمس الله تشرق على الغرب – سيجريد هونكه صـ ١٨٨ .

إسهاماً واضحاً في علم وظائف الأعضاء والتشريح ، وقام ابن النفيس بشروحات هامة لشرايين القلب ، وقد أثبت ابن النفيس عن طريق التجارب والاختبارات أن الدم ليس سائلاً مستقراً في أورده وشرايين ، بل هو سائل متحرك ، يدور في جميع أجزاء الجسم ، وذلك قبل أن يكتشف العالم البرتغالي هارفى الدورة الدموية بثلاثة قرون (١).

وقد أثبت ابن النفيس أيضاً أن هناك وصلات بين شرايين الرئة وأوردتها ، وهذه الوصلات تتحكم في الدورة الدموية في داخل الرئة هذه الحقيقة التي اهتدى إليها ابن النفيس قد ادعاها لنفسة " كولومبو " وقال إنه صاحبها .

كما توصل ابن النفيس إلى أن أورده الرئة ليست ممتلئة بهواء أو هبات ، بل بالدم ، وأن جدران شرايين الرئة أسمك من جدران الأوردة ومكون من طبقتين .

وتوصل أيضاً إلي أنه ليس للحائط الفاصل في القلب مسام ، وكل ما في الأمر أن الدم يكون دوره ، وبين هذين الحوضين الموجودين في القلب لا توجد ثغره موصله ، وذلك لأن الحائط الفاصل في القلب مغلق ، وليست به فتحات مرئيه ، كما يعتقد البعض ، أو غير مرئيه كما اعتقد جالينوس ، وذلك لأنه ليست للقلب مسام ومادته في تلك الجهة سميكة ،

---

(١) انظر: الطب عند العرب والمسلمين – تاريخ ومساهمات – محمد محمود – صـ ١٠٨، صـ ١١٠ – دار السعودية – جده للنشر والتوزيع .

ولا شك في أن الدم بعد أن يصير رقيقاً يندفع إلى الرئة عن طريق شرايانها ليجوس خلالها ، ويمتزج بالهواء منقياً الجزء الرقيق منه ، ومن ثم يجري هذا الدم في أوردة الرئة متجهاً إلى الحوضين اليسارين للقلب بعد أن يكون قد امتزج بالهواء .

هذه هي الاكتشافات العظيمة التي اكتشفها ابن النفيس ظلت زمناً طويلاً منسوبه إلى العالم الإسباني " ميخائيل ثروت " [١].

وفي مجال الطب تأثرت أوربا بأفكار الجراح العربي المسلم أبى القاسم المتوفي ١٠١٣م فقد أدخل هذا الطبيب العربي كثيراً من التجارب في الجراحة ، وتفتيت الحصوة الموجودة في المثانة ، وكذلك في التشريح الجسماني ، وتشريح الحيوانات لإجراء التجارب والبحوث وإليه يرجع الفضل في تقدم الجراحة ، وله يدين الجراحون بالكثير مما توصلوا إليه في عصرنا الحاضر ، فهو السباق إلى مختلف أنواع الخياطات الجراحية[٢].

هذا ، وهناك الكثير والكثير من فلاسفة الإسلام الذين برعوا في هذا المجال ، وكان لهم الفضل في تقدم أوربا ومعرفتها بعلوم لم تكن تعرفها من قبل .

٤ – في مجال علم الكيماء

وفي مجال علم الكيماء فقد ترجم كتاب " غايه الحكيم " للعالم أحمد

---

(١) انظر: شمس الله تشرق على الغرب – سيجريد هونكه صـ ١٩٦ .
(٢) المرجع السابق صـ ٢٠٠ .

بن مسلمه المجريطى الأندلسي توفي عام ٣٩٨ ه إلى اللآتنيه في القرن الثالث عشر ، وبذلك عرف الأوربيون من العرب تقسيم المواد الكيماوية إلى نباتيه وحيوانيه ،ومعدنيه ، ومازالت المعدات العربية في مجال الكيماء، والتي انتقلت إلى الكيماء الحديثة تحمل أسماءها العربية الأصلية [١].

٥ – في مجال علم الفلك والجغرافيا

في مجال علم الفلك والجغرافيا نجد ابن الهيثم يبحث في السهول والأودية ، ويجول فيها طولاً وعرضاً حتي يضع قواعد علم الضوء [٢].

وهو أول من وضع نظريه حول حركـــات الأفلاك على أطباق غير شفافة ، وشهره هذا العالم لم تقم على هذه النظرية فقط ففضلة علي الفلك يتجلى في اكتشافه أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجوم الثابتة ترسل نورها ، عدا القمر الذي يستمد نوره من الشمس ، وهذه النتيجة التي انتهي إليها ابن الهيثم نقلته إلى فكره أُخري جديدة أدت إلى ثورة عارمة في علم الفلك عارض بها العالمين الاسكندريين " أويقليد" و"بطلميموس" فأثبت خطأ نظرياتهما، وبذلك نجح في فرض آرائه الجديدة[٣]

هكذا كان ابن الهيثم من أشهر أساتذة المسلمين العرب الذى أخذ بيد أوربا في هذا المضمار.

---

(١) انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس صـــ ٤٨٣.
(٢) انظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا جـــ ١ صـــ ٩٠.
(٣) انظر: شمس الله تشرق على الغرب د/ سيجريد هونكة صـــ ١٢٢.

ونجد أيضاً في هذا المجال ابن " الدجيلى " يسهر على قمم الجبال العالية يحدق في الكواكب والنجوم ليحد أفلاكها ، ويعرف أبعادها ، ويقيس محيط الكره الأرضية [١].

٦ – في مجال علم الاجتماع

وفي مجال علم الاجتماع نجد ابن خلدون مفكراً اجتماعياً عظيماً ويكفينا في بيان فضلة ما ورد من علماء الغرب بخصوص المكانة التي يحتلها في ميدان العلم والمعرفة .

يقول عالم الاجتماع لود فيج (١٨٣٨ –١٩٠٩) جاء عربي تقي قبل أوجست كونت ، بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوربي ، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن وأتى في هذا الموضوع بآراء جعلت ما كتبه عباره عما نسميه اليوم بعلم الاجتماع .

ويقول المؤرخ المعاصر آرنولد: لقد توصل ابن خلدون إلى فلسفه التاريخ ، ويعد عمله هذا أعظم عمل أو تأليف أبدعه فكر في أي زمان ومكان [٢].

٧- في ميدان التشريع

لقد كان لاتصال الطلاب الغربيين بالمدارس الإسلامية في الأندلس

---

(١) انظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا جـ ١ صـ ٩٠.

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون العلامة – ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون– تحقيق عبدالله محمد الدرويش صـ الاولى جـ ١ ص٧١ ط الاولي – دار يعرب.

وغيرها أثر كبير في نقل مجموعة من الأحكام الفقهية والتشريعية إلى لغاتهم ، فلم تكن أوربا في ذلك الحين علي نظام متقن ولا قوانين عادلة ، حتي إذا كان عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية ، ومـــن أوائل هذه الكتب ، كتاب خليل الذي كان نواه القانون المدني الفرنسي ، وقد جاء متشابهاً إلي حد كبير مع أحكام الفقه المالكي .

يقول العلامة سيديو" والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا على الخصوص لما لنا من الصلات بعرب أفريقية ، وعهدت الحكومة الفرنسية إلى الدكتور بيرون في أن يترجم إلى الفرنسية ، كتاب المختصر في الفقه للخليل ابن إسحاق بن يعقوب المتوفي ١٤٢٢م [١].

٨ - في مجال التصوف

أثر التصوف الإسلامي في نشاه التصوف الأوربي ، فقد أثرت آراء الصوفي الأندلسي ابن عباد الرندي المتوفي عام ٧٢ ه علي آراء الإسباني يوحنا الصليبي بمائتي سنه ، كما أثر الغزالي في فكر العالم الفرنسي المشهور بسكال ، صاحب الحجه المشهورة في إثبات وجود الآخرة ، والتي تسمي رهان بسكال ، حيث حاول إقناع المنكرين للآخرة الإيمان بوجودها ، وهذه الحجه ذكرها الغزالي في معظم كتبة [٢].

---

(١) مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا جـــ ١ ص٩٠.

(٢) انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ص٤٨٣.

واتجه المستشرقون الإنجليز في بداية القرن العشرين إلي دراسة التصوف الإسلامي بعد نشرهم الكثير من مخطوطاته الأساسية في نهاية القرن الماضي ، وما لبث هذا المجال أن استحوذ علي إعجابهم إلي حد أن بعضهم كرس له حياته العلمية كلها ، من أمثال نيكلسون ، ماسينيون ، وآسين بلاثيوس [١].

٩ – في مجال علم النفس والأخلاق

وفي مجال الدراسات الأخلاقية والنفسية نجد ذلك المفكر الإسلامي الكبير ابن مسكوية الذي طرق الدراسات الأخلاقية والنفسية فذلل متونها ، وسبق علماء أوربا فيما وصل إليه من النظريات النفسية والسلوكية وغيرهم [٢].

هكذا كان للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات ،وكان لديهم تشريعات وفلسفة، وقوانين ، وطب ، وفلك ، ورياضيات وآداب ، وكان لكل هذه العلوم أساتذة عباقرة نشأوا في ظل الإسلام وتأثروا بالاتجاهات القرآنية التي غرسها الإسلام في قلوب الناس ، والتي أدت إلى تنمية القوي العقلية في الإنسان المسلم ، ففتحت أمامه آفاقاً واسعه لا حدود لها.

فأوروبا لم تستيقظ من سباتها العميق إلا على عــلوم المسلمين العرب وآدابهم ، وآثارهم ، ففي الوقت الذي كانت أوربا تعيش في ظلام

---

(١) انظر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا ، د/ حامد طاهر ص٢٧.

(٢) انظر: كتاب مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا صـــ٨٤.

الجهالة ، كان العلم عند المسلمين في أوج إزدهاره وعندما اتصل العالم الغربي بالعالم العربي فإنه قد وجد عنده بذور العلم ، فهؤلاء العلماء قدموا لأوروبا علوماً لم يكن قد سمعوا عنها من قبل ، ولم يكن طموحهم تحلم بأن تتقدم أوربا مثل تقدم المسلمين في علومهم .

المبحث الثالث

أثر الفلسفة الإسلامية في الغرب اللآتيني

أولاً : المنهج التجريبي وأثره في نهضة أوربا :

المنهج التجريبي منهج إسلامي توصل إليه علماء المسلمين من إشارات القرآن الكريم التي لا تحصي ولا تعد من لفت النظر إلى الملاحظة والتجربة ، كالآيات التي تحث على السير في الأرض ، والنظر في آثار القرون ، والتأمل في الكون أرضه ، وسمائه ، وبحارة ، وأنهاره ، وثماره، ونباته .

قال عز من قائل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١).

أ – هذه الآية فيها إشارة إلى المنهج الاستقرائي حيث الملاحظة واستقراء الواقع ، وتصفح الأشياء والأصناف والأنواع والأجناس والآثار الباقية من الحضارات البائدة ، وفيها السير علي الأرض والسفر من أجل جمع المعلومات ، ومن أجل المنهج العلمي.

ب – وفيها إشارة إلي دور القلب والعقل ، وذلك باقتراح الفروض العلمية وتحقيقها .

جـ – وفيها أشاره إلي الاستنباط الذي يدعم الاستقراء وباستنباط نتائج جديدة مستجده من القوانين والتعميمات التي يتوصل إليها

---

(١) سوره الحج آية ٤٦ .

بالاستقراء، وهذا مما يساعد علي التحقق من تلك القوانين واختبارها [١].

وقال تعالي: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [٢].

ويقول المولي عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [٣].

وهناك أدلة ووثائق تاريخية تثبت أن المسلمين قد استخدموا طرق التحقيق التجريبية

ففي مجال العلوم الطبيعية والرياضية ، شرح ابن الهيثم مفهوم للاستقراء في رسالته عن الضوء بقولة " ونبتدئ في البحث باستقراء

---

(١) انظر: لمحات من تاريخ الفلسفة الإسلامية د/ زكريا أمام صـ ٢٩ – ٣٠ الدار السودانية للكتب .

(٢) سوره آل عمرآن آية ١٩٠ – ١٩١ .

(٣) سوره ق آية ٦ وما بعدها .

الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات ، وتميز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار وما هو مطرد لا يتغير [١].

واهتم جابر بن حيان في بحوثه الكيمائية العديدة في رسائله ومصنفاته بمبدأ قياس الغائب علي الشاهد ، فهو يحاول استخراج علة الشئ ، ثم البحث عنه فيما يشبهه من الأشياء المجهولة ، حتي إذا استيقن من اشتراك المعلوم والمجهول في عله واحدة ، قاس الثاني على الأول في حكمه المنبثق من العلة ، مع بناء قياسه علي قانوني العلية والتناسق والنظام في الكون .

وقد أولى ابن حيان أهميه فائقة للتجربة العلمية ، وفي هذا يقول إن واجب المشتغل في الطبيعيات والكيماء هو العمل وإجراء التجارب وأن المعرفة لا تحصل إلا بها ، وفي مجال الطب أبدع أبوبكر الرازي وابن سينا في مؤلفيهما الحاوي في الطب ، والقانون في الطب في وصف تشخيص الأمراض مع بيان الروابط بين العلل المتشابهة عن طريق التفسير الناتج من المشاهدة الفعلية التي يتبعها وضع فرض يتحقق منه الطبيب عن طريق التجربة ، مثال ذلك القرد الذي سقاه الرازي زئبقاً ليتحقق من صحة فروضه عن خواص الزئبق العلاجية ، ولا يزال العلماء يجرون تجاربهم

---

(١) انظر: منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية – جلال محمد موسي – صـ ٢٧٢ – ٢٧٥ – بيروت ١٩٧٢

وانظر الفلسفة الإسلامية : مدخل وقضايا ، د/ حامد طاهر – صـ ١٤٧ دار الثقافة العربية بالقاهرة .

حتي اليوم على القردة قبل تعميم استعمال الدواء للإنسان [١].

وكان ابن سينا يعني بالملاحظة والتجربة ويستخرج منها القوانين الكلية ، وقد وضع في أول القانون " قواعد للتجريب " سبق بها جون أستيوارت مل بقرون طويله ، ويسرت له هذه الملاحظات والتجارب الاهتداء إلي علل كثير من الأمراض وطريق علاجها، كالسرطان ، وأمراض المثانة ، وهو أول من وصف قرحة المعدة ، وغير ذلك ، ولا نزاع أن اشتغال ابن سينا بالطب قد أثر على فلسفته من جهة المنهج الذي يتبعه في التفكير ، فقد كان يؤمن بالتجارب ويجريها على الحيوانات ويتتبعها ويري أثرها ، ويجرب عليها الدواء قبل أن يجربها في الأنسان [٢].

وفي مجال الصيدلة توصل ابن سينا في القانون إلي معرفه قوي الأدوية بطريقتين هما : التجربة والقياس ، مع تقديم التجربة لاختيار تلك الأدوية ، ومعرفة قوتها من حيث الطعم والرائحة واللون ، وسرعة الاستجابة [٣].

وفي مجال علم الاجتماع برز العلامة ابن خلدون الذي يريد من الباحث أن يستملئ الواقع ، ويُعني بالتجربة ، ويجمع الظواهر المحسوبة ،

---

(١) انظر: مناهج البحث في العلوم السياسية د/ محمد محمود ربيع – طـ الثانية جـ ١ صـ ٥٣ – مكتبة الحلاج – الكويت .

(٢) انظر: الفلسفة الإسلامية د/ احمد فؤاد الأهواني صـ٨٣ – الهيئة العامة للكتاب .

(٣) انظر: مناهج البحث في العلوم السياسية د/ محمد محمود ربيع صـ ٥٣
وانظر: الفلسفة الإسلامية – مدخل وقضايا – د/ حامد طاهر صـ ١٤٧ .

ليستخلص منها حكماً عاماً ، فالتجربة هي وسيلة المعرفة والوصول إلى الحقيقة [١].

إذاً المنهج التجريبي منهج إسلامي أقامه المسلمون ، ونشأ وتطور نشأة إسلامية .

أثر المنهج في نهضة أوربا

لقد تأثر بهذا المنهج كل من فرنسيس بيكون وديكارت ، ونيوتن وفولتير ، وجون استوارت مل وغيرهم من علماء الغرب ، فقد كان كتاب الأرجانون الجديد لفرنسيس بيكون ١٦٢٦ م، ومقال في المنهج العلمي لديكارت ١٦٥٠ م بالإضافة إلي بعض المنجزات العلمية ، ثورة في الفكر الغربي ، سقط علي أثرها تقديس منطق أرسطو، وبدأ الأخذ بالمنهج التجريبي الحديث الذي بفضلة خرجت أوربا من ضيق العصور الوسطي إلي رحاب عصر النهضة ، وما زال يطبق بنجاح حتي اليوم [٢].

وكان العالم نيوتن لا يثبت قولاً إلا بالتجربة والحساب ، والعالم فولتير كان يناصر مذهب التجربة على الميتافيزيقا [٣] وقد أثبتت البحوث الحديثة أن المسلمين قد وضعوا جميع عناصر المنهج الاستقرائي ، وأن

---

(١) انظر: من الفلسفة اليونانية إلي الفلسفة الإسلامية – محمد عبدالرحمن مرحبا – المجلد الثاني صـ ٧٧٧ – عويدأت للنشر والتوزيع بيروت لبنان وراجع : مقدمة ابن خلدون جـ٤ صـ ٩٧٦ ، ٩٧٧ ..

(٢) انظر: من الفلسفة الإسلامية د/ حامد طاهر صـ ١٤٦ .

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة د/ يوسف كرم جـ١ صـ ١٨٨ دار المعارف .

هذا المنهج قد انتقل إلي أوربا عن طريق العلماء الأوربين الذين تعرفوا عليه ، واذاعوه بين أقوامهم ، وفي ذلك يقول بريفولت في كتابه بناء الإنسانية " لقد درس روجربيكون (١٢١٤ – ١٢٩٤ م) اللغة العربية والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس، وليس له ولا لسميه فرنسيس بيكون الذى جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربا . (١)

وقد أكد معظم المنصفين من غير المسلمين أن الحضارة الأوربية ، وما سار في ركبها من حضارات غربية أو شرقية، قد أخذت عن حضارة المسلمين المنهج التجريبي ، الذي اكتشف به المسلمون من قوانين الله وسننه في كونه مالم يكن مكتشفاً ولا معروفاً لدي أهل الحضارات السابقة ، وأضافوا به إلى الحضارة الإنسانية مبتكرات صناعية وأنظمة إدارية نافعة ، وخططاً حربية ظاهرة .

ولما استخدم رواد الحضارة الغربية اللاحقة هذا المنهج التجريبي الذى أخذوه عن المسلمين ، استطاعوا أن يُنشؤا الحضارة المادية التي نشاهد في عصرنا آثارها ومنجزاتها المدهشة والتي بها استطاع الإنسان الانتفاع بالكثير من طاقات الكون الكامنة ، التي سخرها الله له ، بشرط أن يتوصل إلى إدراك ومعرفة مفاتيحها ، ووسائلها ، وأسبابها ، وطرق

---

(١) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة – محمود حمدي زقزوق – طـ الأولى – صـ ٣٢ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

الانتفاع منها ،وقد كانت هذه الطاقات الهائلات من الأسرار الخفية وراء الظواهر الكونية المشهورة ، وبهذه الطاقات العظيمات التي استطاع الأنسان أن ينتفع بها ، ومنها ويسخرها لمطالبه في الكون والحياة ، ركب المراكب العظيمة في البر والبحر والجو ، ووصل إلى القمر فالمريخ ، وعرف الإلكترونات وحركاتها وتأثيراتها ، وكيفية الانتفاع منها وبها ، وعرف خصائص كثير من الأشعة الكونية التي كانت في عالم الغيب بالنسبة إلى الناس إلى غير ذلك من مكتشفات مذهلات . (١)

كيف وصل هذا المنهج إلى أوربا

كانت أسبانيا المعبر الأكبر لهذا المنهج إلى فرنسا ، فقد تكونت في طيطلة أول مدرسة لترجمة الفلسفة العربية والعلم العربي، وكانت الجسر الكبير لنقل هذا التراث ، ومما لا شك فيه أن علم العرب جميعاً قد وصل إلى جامعات فرنسا وجامعة باريس علي الخصوص ، كما كانت صقلية أيضا معبراً آخر

وأقبل عدد من الإنجليز إلى أسبانيا وتعلموا العربية وشاركوا في حركه نقل التراث وبخاصة العلمي ، ثم تنبه روجر بيكون إلى أهمية العلم العربي ، وكان من رواده الأُول فنقل الكثير إلى إنجلترا وأكسفورد بالذات.

---

(١) انظر: كتاب الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في الأمم د/ عبدالرحمن بن حسن الدمشقي حـ ١ طـ الأولى صـ ٦٥١ الناشر دار القلم دمشق .

وسواء أكان بيكون قد عرف العربية أم لم يعرفها ، فإنه عرف المنهج الإسلامي التجريبي ، وكان ينادي بأن معرفة العرب وعلمهم هي الطريق الوحيد للمعرفة الحقه ، ومن الثابت أيضاً أن روجر بيكون نقل إلى إنجلترا أيضاً عدداً كبيراً من الكتب العربية المترجمة إلى اللآتنيه وقد ألهم روجر بيكون – فرنسيس بيكون أول تجريبي حقيقي في العصور الحديثة ، ثم وجد المنهج الإسلامي كاملاً في كتابات جون استيوارت مل ، ولا شك أن منهجه هو منهج المسلمين العرب (١)

ومن العجيب والغريب أن بعض علماء المسلمين ينسبون هذا المنهج إلى علماء الغرب ، فيقولون أن بيكون هو واضع أساس المنهج التجريبي ، لكن في الحقيقة أن علماء الإسلام هم المؤسسون لهذا المنهج ، وهم بُناته الأولون ، وأساتذة الإنسانية في حضارتها الحديثة ، وأن روجر بيكون قد عرف المنهج التجريبي من خلال الاطلاع على تراث المسلمين العرب .

ثانياً : النفس عند ابن سينا

يعد ابن سينا وابن رشد الممثلين الحقيقين للفلسفة الإسلامية في نظر الغرب ، قرئوا لهما في عناية ، ودرسوهما دراسة عميقه ، أخذوا عنهما ما أخذوا ، ورفضوا ما رفضوا ، وكان لهما تلاميذ وأتباع ، وخصوم ومعارضون ، فأثرا في الفلسفة الغربية تأثيراً كبيراً وأحدثا فيها تيارات

(١) انظر: نشاه الفكر الفلسفي في الإسلام د/ علي سامي النشار طـ التاسعة جـ ١ صـ ١٤٠ دار المعارف .

فكرية واضحه ، وامتد أثرهما إلى عصر النهضة والتاريخ الحديث .

لذا أخترت أن أشرح بعض النظريات الفلسفية لابن سينا موضحة مدي تأثر الغرب بها.

أ – وجود النفس عند ابن سينا وحقيقتها وخلودها.

لقد أثر كتاب النفس لابن سينا تأثيراً كبيراً في الفكر الفلسفي اللآتينى بعد أن تُرجم إلى اللآتينيه ، فكان لآراء ابن سينا حول وجود النفس وحقيقتها وخلودها ، أثر واضح لدي مفكري الغرب علي اختلافهم ، وقد بذل ابن سينا جهداً كبيراً حول إثبات وجود النفس وأقام أدله فيها عمق ودقه ، من هذه الادلة :

١ – برهان الرجل المعلق في الهواء

هذا الدليل هو أشد ألأدلة أخذاً وأعظمها ابتكاراً ، يقرر ابن سينا في هذا البرهان أن الانسان لو تأمل في نفسة فقط وجرد نفسة من جميع العلائق الخارجية فإنه يدرك أنه ليس جسماً ولا شيئاً حالاً في جسم ، وإنما هو ذات روحية تدرك نفسها بنفسها وفي ذلك يقول " ارجع إلى نفسك وتأمل ، هل إذا كنت صحيحاً ، بل وعلي بعض أحوالك ، بحيث تفطن للشئ فطنة صحيحة ، هل تغفل عن وجود ذاتك ، ولا تشبت نفسك ، ما عندي أن هذا يكون للمستبصر ، حتي إن النائم في نومه والسكران في سكره ليعرف ذاته ، وإن لم يثبت تمثله لذاته في ذكره ، ولو توهمت أن ذاتك قد خلقت أول خلقها صيحيه العقل والهيئة ، وفرض أنها علي جملة من الوضع والهيئة ، لا تبصر أجراؤها ولا تتلامس أعضاؤها ، بل هي منفرجه ،

ومعلقة لحظة ما في هواء طلق وجدتها قد غفلت عن كل شئ إلا عن ثبوت انيتها . (١)

ويقول أيضاً " ويجب أن يتوهم الواحد منا كانه خلق دفعة واحده كاملاً ، ولكنه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات ، وخلق يهوي في هواء أو خلاء هويا لا يصدمه فيه قوام الهواء صدماً يحوج أن يحس ، وفرق بين أعضائه فلم تتلاق ولم تتماس.

ثم يتأمل أنه هل يثبت وجود ذاته ، فلا يشك في إثباته لذاته موجوداً، ولا يثبت مع ذلك طرفاً من أعضائه ولا باطناً من أحشائه ولا قلباً ولا دماغاً ولا شيئاً من الأشياء من خارج ، بل كان لا يثبت لها طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً ، ولو أنه أمكنه في تلك الحال أن يتخيل يداً أو عضواً آخر لم يتخيله جزءاً من ذاته ولا شرطاً في ذاته ،فإذن للذات التي أثبت وجودها خاصية لها ، على أنها هو بعينه غير جسمه وأعضائه التي لم يثبت . (٢)

وملخص هذا الدليل " أنا لو تصورنا شخصاً مكتمل القوي العقلية والجسمية ، ثم غطي وجهه فلا يري شيئاً ، وترك في الفضاء يهوي هويا، بحيث لا يمس شيئاً ولا يحس بأي احتكاك ، فإنه لا يشك برغم هذا أنه موجود ، ولا شأن للحس ولا للجسم في إثبات وجوده ، وإنما قادة إلية أمر

---

(١) الإشارات – ابن سينا جـ ١ صـ ١١٩ – ١٢١ مؤسسة النعمان – بيروت – لبنان .

(٢) انظر: الشفاء لأبن سينا جـ١ ص ـ٢٨١ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

آخر غير جسمي وهو النفس ". [١]

هذا الدليل أخذه الغرب تحت مسمي الإنسان الطائر ، واستدلوا به علي وجود النفس ، وهذا البرهان يعتبر من أروع البراهين التي قدمها ابن سينا وأشدها تأثيراً في الفكر الفلسفي النفسي عند علماء الغرب في العصور الوسطي والعصر الحديث ، فقد وجد صدى لهذا البرهان فيما كتبه الفيلسوف الدومينيكاني " جاند يسالينوس " عن النفس واستعمل برهان الرجل الطائر أو المعلق في الهواء كما أخذ به القديس " أُوغسطين ، ومن الذين أغرموا بهذا البرهان من المحدثين الفيلسوف الفرنسي " رينه ديكارت الذي عبر عنه بقولة أنا أفكر إذاً فأنا موجود . [٢]

٢ – برهان الاستمرار

يعد هذا البرهان أقرب البراهين إلي علم النفس بالمعني المعاصر ، وهو يقوم على القوي المعبرة عن أحوال الإنسان وتغيرها ، ولكنها مع ذلك تتصف بالاستمرار والاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل ، إن حياة الإنسان في حركة مستمرة ، وفي تغير دائم ، ومع ذلك فحركتها متصلة

---

(١) راجع : في الفلسفة الإسلامية د/ إبراهيم مد كور صـ ١٨١ .

(٢) انظر: النفس عند ابن سينا د/ محمد نصار – ضمن حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – العدد الأول ١٤٠١ – ٩١٨٠ صـ ٨٧ وانظر: الفلسفة الإسلامية

- أحمد فؤاد الأهوانى – صـ ١٥٣ – الدار العربية للكتاب وراجع تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ القرن الثامن حتي يومنا هذا د/ ماجد فخرى صـ ٢٥٣ – دار المشرق – بيروت .

وتغيرها في إطار يربطها ، وليس ذلك إلا مظهراً لوحدتها ووجودها ، يقول ابن سينا " تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً في جميع عمرك حتي إنك تتذكر كثيراً مما جري من أحوالك ، فأنت اذاً ثابت مستمر لا شك في ذلك ، وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتاً مستمراً ، بل هو أبداً التحلل والانتقاص ، ولهذا لو حبس عن الإنسان الغذاء مدة قليلة نزل وانتقص قريباً من ربع بدنه ، فتعلم نفسك أن في مده عشرين سنه لم يبق شئ من أجزاء بدنك ، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك ، فذاتك مغايره لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . (١)

والمحدثون من علماء النفس يستدلون علي وجود الشخصية أو " الأنا" باستمرار الحياه العقلية واتصالها ، وبهذا يكون ابن سينا قد سبق عصره حين كشف عن خاصية هي من أهم خصائص الحياة العقلية ، وقد أخذ بهذا البرهان من المعاصرين " وليم جيمس " وبرجسون " ويشبه الأخير الحياة العقلية بقطعة موسيقية مكونه من نغمات مختلفة ومتميزة ، وقد امتزجت واختلط بعضها ببعض فأنتجت لحناً منسقاً كما يقرر " وليم جميس " أنه من الصعب جداً أن نجد في شعور واقعي حاله نفسية مقصورة كل القصر على الحاضر ، بحيث لا نكتشف فيها أي شعاع من أشعة الماضي القريب . (٢)

وبعد أن أثبت ابن سينا وجود النفس ، حاول أن يعرفها وبين

---

(١) رسالة في معرفة قوي النفس الناطقة – ابن سينا صـــ ٩ .

(٢) انظر: الفلسفة الإسلامية د/ ابراهيم مدكور صـــ ١٧٧ .

حقيقتها فيردد عباره أرسطو المشهورة من أنها " كمال أول لجسم آلي ، فهي إذن صوره الجسم ، والصورة تفني بفناء مادتها ، لذلك لم يَرَ ابن سينا بداً من أن يذهب إلي أن النفس جوهر روحي ، هي جوهر لأنها تستطيع القيام بذاتها ، وروحية لإنها تدرك المعقولات ، والمعقولات لا يمكن أن تكون في جسم ولا قائمة بجسم ، ثم يبرهن على خلود النفس ، فيقول أنها جوهر بسيط والجواهر البسيطة لا تفني بعد أن توجد ، لأنها لا تحمل في نفسها عوامل فنائها . (١)

وهي أيضاً متميزة عن البدن وسابقة عليه في الوجود ، فلا يتوقف وجودها علي وجوده ، ولا تنعدم بانعدامه ، وهي أخيراً من عالم العقول المفارقة ، والنفوس الكلية ، وهذه لا يطرأ عليها فناء بحال ، وكل ما شابهها خالد بخلودها .

فالقول بروحية النفس وخلودها، قال به القديس أوغسطين وألبير الكبير ، وتوما الاكوينى ، وغيرهم . (٢)

هذه أمثلة لتلاقي الفكر الأوربي مع الفكر العربي وأخذه عنة ، واستطاعت الفلسفة الإسلامية عن طريق أعلامها أن تجد سبيلها إلى النهضة الأوربية ، وأن تسهم فيها .

---

(١) انظر: النجاة – ابن سينا صـ ٣٠٦ ، ٣٠٩ وراجع في الفلسفة الإسلامية – د/ ابراهيم مدكور صـ ١٨١ ، ١٨٢.

(٢) انظر: في الفلسفة الإسلامية – د/ ابراهيم مدكور صـ ١٨١ ، ١٨٢.

ثالثاً : نظرية المعرفة عند ابن سينا

من أهم النظريات التي أخذها الغرب عن المسلمين ، وتأثر بها نظرية المعرفة عند ابن سينا ، وسوف نوضح ذلك .

يقسم ابن سينا الإدراك قسمين حسي وعقلي ، والإدراك الحسي عنده قسمان ، ظاهر ، وباطن ، فالإدراك الحسي الظاهر هو أن تنتقل إلينا حقائق الأشياء الخارجة عنا ، ومنافذ هذا الانتقال هي الحواس الظاهرة من سمع وبصر ولمس وذوق ، وسمع ، ولكل حاسة منها عضو ظاهر تعمل به فالبصر يكون بالعين ، والسمع بالأذن ، ثم هنالك الحس المشترك ولا عضو ظاهر له ، وإنما هو نتيجة اشتراك الحواس الخمس ، ولولا الحس المشترك ما كنا إذاً أحسسنا بلون العسل إبصاراً " أي عن طريق البصر ، حكمنا بحلاوته ، وإن لم نحس حلاوته فعلاً ، وهنالك قوه في الباطن تدرك من الأمور المحسوسة مالا يدركه الحس ، مثل القوه التي في الشاة والتي تدرك من الذئب معني " من العداوة والخوف لا يدركه الحس، ولا يؤديه الحس ، فإن الحس ليس يؤدي إلا الشكل واللون " . (١)

ثم إن هناك أيضاً سبيلاً آخر للمعرفة ، وهو إدراك المعقولات فإن أدراك المعقولات شئ للنفس بذاتها من دون آلة ، أي إن النفس العاقلة تستطيع أن تدرك أشياء بغير توسط الحواس الخمس وبغير توسط قوه من

---

(١) انظر: الشفاء لأبن سينا صـــ٤٤ القسم الأول – وانظر تاريخ الفكر العربي إلي أيام ابن خلدون – عمر فراخ طـــ الأولى ١٩٧٣ صـــ ٤٠٨ دار العلم للملايين .

الباطن . [١]

فابن سينا يري أن للمعرفة طريقين ، هما الحس والاستقراء ، وطريق الفيض والإشراق ، فعن طريق الحس نستمد الصور الذهنية من العالم الخارجي ، ومن فقد حساً فقد علماً ، ومن هذه الصور نستخلص الكلي ، فهو موجود في أفراده بالقوة ، ولا يمكن تحققه في الذهن بالفعل إلا بعون خارجي وقوه عليا ، وليست هذه القوة شيئاً آخر سوى العقل الفعال ، فهو يمدنا بنور منه ، أو بضرب من الإشراق نستطيع به أن نتقبل الحقائق مباشره من العقل الفعال . [٢] فالمعرفة حسية تجريبية في أساسها كسمولوجيه إشراقيه في قمتها .

وللمعاني الكلية ثلاثة أنواع من الوجود ، فهي موجودة أولاً في العقل الفعّال مع الصور ، والنفوس البشرية ، قبل الكثيرة والأعيان الخارجية ، وموجودة ثانياً في الكثرة والأعيان الخارجية وجوداً عرضياً بالقوة ، لأنها هي أفرادها ،وكل كلي موجود بالقوة في أفراده ، وموجود أخيراً في الذهن بعد الكثرة والأعيان الخارجية لأنها مستمدة منها. [٣]

وواضح أن هذا الوجود الثلاثي ضرب من التوفيق بين أفلاطون وأرسطو ، فالكلي الأزلي القائم بذاته الموجود في العقل الفعّال شبيه بمثل

---

(١) انظر: تاريخ الفكر العربي صـــ٤٠٨ وانظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام – د/ محمد علي أبو ريان صـــ ٤٠٠ دار المعرفة الجامعية .

(٢) انظر: النجاة – ابن سينا – صـــ ١٧٧ .

(٣) انظر: المدخل – ابن سينا – القاهرة ١٩٥٢ صـــ ٦٦ – ٦٩ .

أفلاطون ، والكلي الملحوظ في أفراده والمستخلص في الذهن ليس شيئاً آخر سوي نظريه التجريد الأرسطيه ، وبذا جمع ابن سينا بين الاسمية والواقعية ، ووفق بين أرسطو وأفلاطون ، وفي توفيقه هذا ما مكّن لآرائه في العالم اللآتيني ، فقد تأثر الغرب اللآتيني بنظرية المعرفة عن ابن سينا، فقد ترجمها لأول مره " جند سالينوس " مترجم كتاب النفس لابن سينا ، وتوسع فيها جيوم الأوقرني ، ووضع دعائم ما سماه الأستاذ جلسون " الأوغسطينيه السينويه " واستمسكت بها المدرسة الفرنسكانية كلها ، لأخذها بالفيض والإشراق اللذين قال بهما القديس أوغسطين من قبل

أما الوجود الثلاثي للكليات الذي قال به ابن سينا ، فيلتقي عنده الفرنسكان والدومنكان علي السواء ، ويفرقون كما فرق ابن سينا بين ثلاثة أنواع من الأجناس جنس طبيعي ، وجنس عقلي وجنس منطقي ، وهناك تعبيرات مشهورة في اللآتنية تفصح وحدها عن أصلها ، العربي ، فيقال إن الكليات موجودة قبل الكثرة أو في الكثرة ، أو بعد الكثرة ، وباختصار ارتبطت نظرية الوجود الثلاثي للكليات بنظرتي العقل والمعرفة الإسلاميتين وشاركتهما فيما أحدثناه من حركة في الفلسفة المسيحية ، وخاصة في القرن الثالث عشر. (١)

رابعاً : التوفيق بين الدين والفلسفة

من المسائل التي يظهر فيها بوضوح تأثر الفكر اللآتيني بالفكر

---

(١) انظر: الفلسفة الإسلامية د/ ابراهيم مد كور صـ ١٧٩ – ١٨١ .

العربي – مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة ، هذه المسالة تناولها الكثير من الفلاسفة المسلمين بالشرح والتوضيح ، مؤكدين أنه لا تعارض بين الدين والفلسفة ، ومن أشهر هؤلاء الفلاسفة الذين تناولوا هذا الموضوع الفيلسوف ابن رشد .

لذا أوضح رأي ابن رشد في هذا الموضوع .

التوفيق بين الفلسفة والدين عند ابن رشد يعد من أهم المواقف وأكثرها صله في مجال النظر الفلسفي ، فهو يري أن ما جاء في الكتاب حق ، وأن الايمان به واجب ، كذلك فإن الدين يوجب النظر العقلي الفلسفي، إذ الفلسفة لا تناقض الدين ، بل تدعمه وتفسر رموزه ، والعلم علي وجه العموم موافق للدين ، ويري ابن رشد أن للشرع ظاهراً وباطناً ، فإذا خالف الظاهر الباطن وجب تأويلة لكن التأويل يجب أن يحصر في أهل البرهان ، أي الفلاسفة ، فهم وحدهم الذين يستطيعون فهم مراميه علي ضوء العقل ، والعقل الذي يبين ما يمكن تأويله ، وعلي أي وجه يكون التأويل ، وهو الذى يكشف عن الحقائق العليا ، علي أنه يجب حجب تأويلات الفلاسفة عن العامة ، ولا يصلح تأويل النصوص الدينية على طريقة المتكلمين ، لأن أدلتهم لا تثبت للنقد ، وكذلك أيضاً ببراهين الفارابي وابن سينا القائمة على معنيي الوجوب والإمكان .

وينتهي ابن رشد إلى اثبات أن الشريعة تتفق مع الحكمة ، فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين النظرية والتطبيق ، فبينما تبحث الفلسفة عن الحق

المطلق نجد المجال الصحيح للدين ينحصر في إصلاح الناس بأخذهم بالطاعة والأعـــمال حتي تتحقق سعادتهم في المجتمع [١] .

أثر ابن رشد في الغرب

كان لآراء ابن رشد تأثير كبير على محاولات التوفيق بين الفلسفة والدين عند علماء الغرب ، فقد تأثر بآرائه القديس توما الاكويني ، ونشأت رشدية لاتنيه تتعصب لآراء الشارح الكبير وتنهج منهجه .

ولا شك أن محاولة الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا في التوفيق بين الفلسفة والدين ، وتأويل النصوص الدينية لكي تلتقي مع دواعي النظر العقلي ، لاسيما في مقاله "في اللاهوت والسياسة إنما ترجع في جملتها إلي مجهود ابن رشد وأثرة في هذا المجال [٢].

كما تأثر أيضاً بفكر ابن رشد سكوت اريجين " فهو لا يفرق بين الدين والفلسفة ، حيث يقول إن كليهما صادر عن الحكمة الإلهية فلا تمييز بينهما ولا تعارض ، الفلسفة الحقة هي الدين الحق ، والدين الحق هو الفلسفة الحقة . [٣]

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام – محمد على أبو ريان صـــ ٥٠٥ دار المعرفة الجامعية .

(٢) انظر: المرجع السابق صـــ ٥٠٨ .

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الأوربية – يوسف كرم صـــ ٧٣ دار المعارف .

المبحث الرابع

اعتراف علماء الغرب بفضل علماء المسلمين

قد أثبت علماء الغرب فضل المفكرين المسلمين على مفكري الغرب في نهضة العلم والمعرفة ، وقدموا اعترافاتهم في كثير من مؤلفاتهم قال غويته في كلام له عن المسلمين .

" وأنهم علمونا صنع الكتاب ، وصنع البارود ، وعمل إبره السفينة فعلينا أن نفكر ماذا كانت نهضتنا لو لم يكن من ورائها هذه المخلفات التي وصلتنا من المدينة العربية . (١)

ويقول سارتون : حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المأثر في القرون الوسطي فكُتبت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصاله ، وأغزرها ماده باللغة العربية ، وكانت من منتصف القرن الثامن حتي نهاية القرن الحادي عشر لغة العلم الارتقائية للجنس البشري ، حتى لقد كان ينبغي لأى كان إذا أراد أن يلـــم بثقافة عصره ، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية ، ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها " . (٢)

ويقول العلامة " درببر " في معرض الدفاع عن حضارة العرب " أي المسلمين " وتسفيه الطريقة التي أنتهجها زملاؤه من كتاب أوربا للتعمية

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ، ولمحات من تأثيرها في سائر الامم صـــ ٦٥٣ .

(٢) انظر: أثر العرب في الحضارة الأوربية تأليف د/ جلال مظهر صـــ ١٧٠ .

على أفضال المسلمين علي الحضارة " ينبغي على أن أنعي علي الطريقة الرتيبة التي تحايل بها الآداب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا أما هذه المآثر فإنها اليقين لن تظل كثيراً بعد الآن مخفية عن الأنظار ، إن الجور المبنى على الحقد الديني والغرور الوطني لا يمكن أن يستمر إلى الأبد . (١)

يقول نيكلسون

أن أعمال العرب " أي المسلمين " العلمية اتصفت بالدقة وسعه الأفق، وقد استمد منها العلم الحديث بكل ما تحمل هذه العبارة

من معان مقومات بصوره أكثر فعالية مما نفترض . (٢)

وتقول المستشرقة سيجريد هونكه في كتابها شمس الله تشرق علي الغرب " العرب هم المخترعون للعلوم التطبيقية والوسائل التجريبية بكل ما تدل عليه هذه العبارة ، والعرب هم المخترعون الحقيقيون للأبحاث التجريبية ، العرب هم الذين قدموا للعالم أغلى وأثمن هديه ، فهم أصحاب البحوث المنتظمة في الطبيعيات ، هذه البحوث التي كانت العامل القوي في بعث العلوم الطبيعية في أوربا ، ولعل أول وأعظم أوربي تأثر بالعقل العربي والعلوم العربية ولم يخش التعاون مع العرب هو القصير العظيم "

---

(١)انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ، ولمحات من تأثيرها في سائر الامم صـ ٦٥٣ وما بعدها .

(٢) انظر: أثر العرب في الحضارة الأوربية تأليف د/ جلال مظهر صـ ١٧٠ .

فريد ريش الثاني ".[١]

ويقول أيضا :

حتى اليوم فكل مستشفى بنظامه وكل معمل كيمائي وكل صيدلية ، وكل حبة مسكره أو مفضضة إنما هـــــي تذكار صغير مرئي من الطبيبين العربيين العظيمين وأستاذي أوربا ألا وهما الرازي وابن سينا . [٢]

وجاء في كتاب شمس الله تشرق على الغرب أيضاً:

" لقد أحاط العرب " أي المسلمون " الكتب بقلوبهم ، حتى المؤلفات الفنية الدقيقة في الهندسة والميكانيكا والطب والفلك والفلسفة وكما تطلب الدولة المنتصرة من الدولة المنهزمة تسليم أسلحتها وسفنها الحربية شرطاً أساسياً لعقد الصلح .

هكذا طلب هارون الرشيد بعد احتلاله لعمورية وأنقرة تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة ، وكما يستولى المنتصرون اليوم على المناجم الحربية الهامة والأسلحة المدمرة مع مخترعيها ، نرى المأمون بعد انتصاره علي " ميخائيل الثالث " قيصر بيزنطية ، يطالب بتسليم أعمال الفلاسفة القدماء التي لم تتم ترجمتها بعد إلي العربية ، ويعتبر ذلك بديلاً

(١) انظر: شمس الله تشرق علي الغرب – د/ سيجريد هونكه صـــ ٣٠١ -٣٠٤ ترجمة وحققه وعلق علية أ- فؤاد حسنين على – دار العلم العربي .

(٢) انظر: شمس الله تشرق علي الغرب صـــ ٢٥٣ .

عن تعويضات الحرب ، إنها أسلحة تساهم في بناء المجد[١]

وجاء في هذا الكتاب أيضاً " واستطاع العرب " أي المسلمون " كذلك أن يكتشفوا كثيراً من الكنوز ففي قبر مظلم تسكنه الفئران والعناكب في الإسكندرية ، عثر القوم بين حجرين هائلين على كتاب في فنون الحرب، وعثروا على كتاب آخر في قدر مغلقة تحت جدران ديرسوري ، وفي آسيه الصغرى وعلى مسير ثلاثة أيام من بيزنطية عثر – محمد بن إسحاق علي مكتبه ضخمة في معبد قديم كبير له باب لم ير من قبل باباً حديدياً في ضخامته . [٢]

هذا إن دل فإنما يدل على اعتناء المسلمين العرب بالعلم ، وأنهم كانوا على استعداد لدفع الثمن مهما كان ، وأنهم تحملوا كثيراً من الأذى للعثور على المخطوطات التي لم تترجم .

يقول المستشرق سيديو

" تكونت فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف الثقافية في التاريخ ، وظهرت منتوجات ومصنوعات متعددة، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهبي المدهش في هذا العصر ، وجميع ذلك تأثرت به أوربا بحيث يؤكد القول أن العرب " أي المسلمين " كانوا اساتذتها في جميع فروع المعرفة ، لقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب " أي

---

(١) شمس الله تشرق علي الغرب صـ ٢٧٩.

(٢) انظر: شمس الله تشرق علي الغرب صـ ٢٧٨.

المسلمين " ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء ، وليس من مفر أمامنا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل إن عاجلاً أو أجلاً . (١)

ويقول جوستاف لوبون كان تأثير العرب " أي المسلمين " في الغرب عظيماً للغاية ، فأوربا مدينة للعرب أي المسلمين بحضارتها ، ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب أي المسلمين في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوربا عندما أدخل العرب أي المسلمون الحضارة اليها (٢)

ويقول هوميلد في كتابة عن الكون " والعرب هم الذين أوجدوا الصيدلية الكيماوية ، ومن العرب أتت الوصايا المحكمة الأولى التي انتحلتها مدرسه ساليرم فانتشرت في جنوب أوربا بعد زمن ، وأدت الصيدلية ومادة الطب اللتان يقوم عليهما فن الشفاء إلى دراسة علم النبات والكيماء في وقت واحد ، ومن طريقين مختلفين ، وبالعرب فتح عهد جديد لذلك العلم.(٣)

ويقول العلامة المستشرق سيديو

كان العرب وحدهم حاملين لواء الحضارة الوسطي فدحروا بربرية أوربا التي زلزلتها غارات قبائل الشمال ، وسار العرب إلى منابع فلسفة اليونان الخالدة ، وفتحوا أبواباً جديدة لدارس الطبيعة .

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية اسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم صـ ٦٥٣ ، صـ ٦٥٤ .

(٢) انظر : شمس الله تشرق علي الغرب صـ ٢٧٨.

(٣) انظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا صـ ٨٥.

ويقول أيضاً " والعرب حين زاولوا علم الهيأه عنوا عناية خاصة بالعلوم الرياضية كلها ، فكان لهم القدح المعلّى ، فكانوا أساتذة لنا في هذا المضمار بالحقيقة.

وإذا كان روجر الأول شجع على تحصيل علوم العرب في صقلية ولا سيما كتب الإدريسي ، فإن الإمبراطور فردريك الثاني لم يبدو أقل حضاً على دراسة علوم العرب وآدابهم ، وكان أبناء ابن رشد يقيمون ببلاط هذا الإمبراطور فيعلمونه تاريخ النبات والحيوانات الطبيعي . (١)

هكذا شاء الله أن يظهر من الأوربيين من يجرؤ وينادى بهذه الحقيقة ، فلا يغمط المسلمين العرب حقهم في أنهم حملوا رسالة عالمية ، وأدوا خدمه إنسانيه للثقافة البشرية قديماً وحديثاً ، إن هذا النفر من الأوربيين المنصفين لا يأبه لتحدى أولئك المتعصبين الذين أعماهم تعصبهم الديني ؛ فحاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية أو التقليل من شأنها .

(١) انظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا صـــ ٨٥.

المبحث الخامس

الرد على من ينكر الجدية والابتكار في الفلسفة الإسلامية

من خلال ما سبق يتحتم علىّ أن أرد على دعوي المستشرقين القائلين بأن المسلمين لم يزد دورهم في تاريخ الفكر الإنساني عن ترجمة الفلسفة الإغريقية إلى لغتهم ، والحفاظ عليها ، حتى جاء الوقت الذى تسلمتها أوربا وأعادت إحياءها على نحو مكتمل .

فالمسلمون العرب على رأيهم مجرد نقلة ، وما الفلسفة الإسلامية تبعاً لهذه الفكرة سوى محاكاه ، فلم يفعل كبار فلاسفة المسلمين أكثر من شرحهم أو تلخيصهم أجزاء متفرقة من الفلسفة الإغريقية ، وأعلنوا أنه لم تكن عبقرية فكرية إسلامية ، وأن عمل المسلمين الأساسي كان قبول الفكر اليوناني والافتتان به .

هؤلاء المستشرقين ينقسمون إلى فريقين :

الفريق الأول: تعصب لبنى جنسه ، وقصر الفلسفة على الجنس الآري .

الفريق الثاني : تعصب لدينه ، وقصر الفلسفة على اليهود أو النصارى .

أ – الاتجاه الأول ، والرد علية

يتزعم الاتجاه الأول الفيلسوف الفرنسي رينان ، حيث قسم الناس إلى ساميين وآريين ، ويرى أن الساميين ليس لهم قدم في الفلسفة ، ويرى أن الجنس السامي ليس مؤهلاً للفلسفة ؛ لأنها ليست من طبيعته فهو يقول " ما يكون لنا أن نلتمس عند الجنس السامي دورساً فلسفية ، ومن عجائب القدر أن هذا الجنس الذى استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع

القوة في اسمى درجاتها لم يثمر أدنى بحث فلسفي خاص ، وما كانت الفلسفة قط عند السامين إلا اقتباساً صرفاً ونقلاً وتقليداً للفلسفة اليونانية.(١)

ويقول أيضاً " ما صنع العرب شيئاً إلا أنهم تلقوا جملة المعارف اليونانية في صورتها التي كان العلم كلة مسلماً بها في القرنين السابع والثامن " . (٢)

ويتابع رينان في نظرته إلى الجنس السامي وعدم إبداعه الفلسفي مواطنه المستشرق الفرنسي جوتييه الذي يقول " أن العقلية العربية ذات طبيعة صحراوية ، وهذه الطبيعة تنتقل مباشره من الضد إلي الضد ، دون مرور بالوسائط ، ومن غير اعتماد علي الاستدلال ، فهي طبيعة لا تحلل ولا تقارن ، ولا تنزع إلى التركيب ، كما تفعل العقلية الآريه . (٣)

كما ذكر جوتييه أن العقل السامي عقل مباعدة وتفريق ، يدرك الجزئيات دون ربط بينها ، أما العقل الآري فهو عقل جمع ومزج وتركيب يربط الجزئيات في كل متناسق ، وهو يؤلف بين الأشياء بوسائط تدريجيه

---

(١) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية د/ مصطفى عبدالرازق تقديم – محمد حلمي عبدالوهاب صـ ١٧ – دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر: الفلسفة الإسلامية د/ حامد طاهر ، صـ ٤٠ – ٤١ دار الثقافة العربية بالقاهرة.

متداخلة متدانية " . [١]

ومن هذا المنطق كتب لابييه عن المسلمين العرب بأنهم أمة تتجه إلى الماضي ، ولا تكترث بالحاضر أو المستقبل ، كما هو الحال بالنسبة إلي الغربيين . [٢]

ويري ديبور : أن متابعة البحث مستقلاً كان فكرة لا تقع في مخ الشرقي الذى يصور لنفسة أن الإنسان بدون معلم تلميذ للشيطان ، وكان ما كان للمسلمين ، لأنهم اقتفوا آثار الفلاسفة الهلليين ، وحاولوا التوفيق بين أفلاطون وأرسطو تارة ، وعمدوا إلى التعاليم التي تحدث اصطداماً فأسقطوها في صمت أو أولوها بمعنى لا يتعارض بشدة مع العقيدة الإسلامية تارة أخرى . [٣]

الرد على هذا الاتجاه

١- أن دعوي التميز العنصري لا تستقيم مع المنطق ، ولا تستند إلي أي أساس علمي ، فلا يمكن التميز بين العرب وغير العرب من حيث الجنس والطبيعة ومن الواضح أن محاولتهم إثبات التفوق الجنسي

---

(١) انظر : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام محمد على ابو ريان صـ ١٠ دار المعرفة الجامعية .

(٢) انظر: نشاه الفكر الفلسفي في الإسلام د/ على سامى النشار ط التاسعة جـ ١ صـ ٢٤ ،٢٥ دار المعرفة الجامعية .

(٣) انظر : تاريخ الفلسفة الإسلامية دي بور ترجمه د/ عبدالهادي ابو ريده صـ ٢٠،٢١ دار النهضة العربية – بيروت .

على حساب جنس آخر محاولة لا تخلو من السذاجة حتي لو افترضنا حسن النية .

فقد تجاهل هولأ المستشرقون أن المسلمين قد بنوا في الماضي حضارة ظلت لعدة قرون هي الحضارة الوحيدة في العالم ، وأنه عندما بدأت أركان دولتهم في التداعي نتيجة لعوامل كثيرة ، تلقفت أوربا منها شعلة العلم والمعرفة ، وأن المؤلفات العربية والجامعات الإسلامية في الأندلس كان لها أكبر الأثر في يقظة أوربا من رقدتها الطويلة خلال العصور الوسطى .

فعلى أي أساس إذا ينبغي أن نُقيم اليوم العقلية الآرية خلال تلك الرقدة الطويلة ، ولماذا لا نصفها حينئذ بالوحدة والبساطة وعدم التركيب ، ونخلع الصفات الأخرى على العقلية السامية . (١)

٢- تنهار نظرية التفريق الجنسي على أيدى الغربيين أنفسهم فنجد أن رينان نفسة قد أعترف بعبقرية المسلمين وآصالتهم في علم الكلام عندما قال :

" إن ذاتية العرب وعبقريتهم الحقيقية إنما ينبغي أن تلتمس لدى الطوائف الإسلامية الدينية " . (٢)

كما نجد المستشرق دوجا يدافع عن المسلمين وعن الفلسفة الإسلامية ، ويثبت أن الفلسفة الإسلامية ، فيها جده وطرافه ، في كتابة " تاريخ الفلسفة والمتكلمين من المسلمين ، حيث إنه في هذا الكتاب يتحدث

---

(١) انظر: الفلسفة الإسلامية د/ حامد طاهر صـ ٤١.

(٢) انظر: نشاه الفكر الفلسفي في الإسلام د/ على سامى النشار جـ ١ صـ ٥٢ .

عن الإنتاج العقلي المتميز والمبتكر ، كما أنه يؤكد على ان العرب قد كونوا فلسفة إسلامية متميزة ، وأنهم قد نقضوا أفكار أرسطو من خلالها .

ومما يؤكد ذلك أنه بعد أن عرض أفكار رينان وغيره من الذين ينكرون أصالة الفلسفة الإسلامية علق على ذلك بقوله :

" هذه أحكام تذهب في البحث إلى حد الشطط ومصدرها سوء التحديد للفلسفة ، وجهلنا بما للعرب من مصنفات غير شروحهم لمؤلفات أرسطو وما أسوق إلا شاهداً واحداً ، فهل يظن ظان أن عقلاً كعقل ابن سينا لم ينتج في الفلسفة شيئاً طريفاً ، وأنه لم يكن إلا مقلداً لليونانيين ، وهل مذاهب المعتزلة والأشعرية ليست ثماراً بديعة انتجها الجنس العربي . (١)

ومن الغربيين الذين وفقهم الله لرد هجمات التعصب الجنسي الصادر من بني جنسهم الأستاذ " كارد انوس ، وهو فيلسوف رياضي إيطالي ، يقول عن الكندي " أنه واحد من بين الاثني عشر الممتازين في العالم .

ويقول الأستاذ " فلنت " عن ابن خلدون

إن أفلاطون وأرسطو واوجستين ليسوا نظراء لابن خلدون ، وكل من عداهم غير جدير حتى بأن يذكر إلى جانبه . (٢)

---

(١) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – الشيخ مصطفي عبدالرازق صـ ٢٠،٢١

(٢) انظر: التفكير الفلسفي في الإسلام د/ عبدالحليم محمود صـ ١٩٧ .

هولا الغربيين اعترفوا بأن المسلمين انتجوا فلسفة خاصة بهم جديرة بأن تسمى فلسفة إسلامية .

إذاً تنهار النظرية المزيقة التي كانت الأساس لكل باطل ، وهى نظريه التفرقة بين الخصائص والمواهب والصفات بين جنس سامي ، وجنس آري ، وكان انهيارها على أيدى الغربيين أنفسهم ، ونسى هؤلاء أن الفارابي وابن سينا كانوا من جنس آري ، واستطاعوا أن يبدعوا في كثير من المجالات .

ب – الاتجاه الثاني والرد عليه

الاتجاه الثاني هو اتجاه التعصب الديني ، ويمثله تنمان الذي قسم الناس في استعداداتهم على حسب أديانهم ، وزعم أن دين المسلمين يقف أمام الابتكار العقلي يقول تنمان:

"العرب شعب مجبول على استعدادات قوية وثابتة ، ولقد كان صابئياً، ثم استشعر حماسة دينية وحربية من دين محمد المتوفي سنه ٦٣٢ م وهو دين شهواني وعقلي ، ومن آثار خلفائهم وتفاسيرهم لما يزعمونه وحياً أوحاه الله إلى هذا النبي " . (١)

ويقول تنمان " أن هناك عده عقبات ثبطت تقدمهم في الفلسفة ، وهذه العقبات هي :

---

(١) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – د/ مصطفي عبدالرازق صـ ٩ .

١ – كتابهم المقدس الذى يعوق النظر العقلي الحر.
٢ – حزب أهل السنه ، وهو حزب متمسك بالنصوص .
٣ – إنهم لم يلبثوا أن جعلوا لأرسطو سلطاناً مستبداً على عقولهم .
٤ – ما في طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثر بالأوهام .

من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يضيفوا أكثر من شرحهم لمذهب أرسطو وتطبيقه على قواعد دينهم ، وكثيراً ما أضعفوا مذهب أرسطو وشوهوه .[١]

الرد على هذا الاتجاه :

١ – إنه زعم أن القران الكريم يقف عائقاً أمام النظر العقلي الحر هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة ، وهذا ادعاء باطل ، وحكم على الأمور دون تحقيق وتمحيص فالقرآن الكريم كثيراً ما حث على التفكير والنظر ورفض التقليد ، وعاب على المقلدين :

قال تعالى : ﴿ قُلِ انظروا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [٢].

وقال جل شأنه: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٣].

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٤].

---

(١) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – د/ مصطفي عبدالرازق صـ ١٠ .
(٢) سورة يونس الآية ١٠١ .
(٣) سورة الحشر الآية ٢ .
(٤) سورة البقرة الآية ١٦٤.

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى :" ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣) الى غير ذلك من الآيات التي تدعوا إلي إعمال العقل والنظر والتفكر في الكون .

٢ – أما عن الزعم بأن حزب أهل السنه هو حزب متمسك بالنصوص هي دعوى باطلة ، لأن حزب أهل السنة لم يكن أبداً حجر عثره أمام التفكير العقلي ، بل على العكس من ذلك ، فقد دعا إلى التفكير الحر، وذلك لأنه فتح باب المناقشة والحوار بينه وبين الأحزاب أو الفرق الأخرى وأهمها فرقه المعتزلة ، والتاريخ لا يذكر أنهم وقفوا ضد الفكر الحر ، بل ساعدوا بفهمهم الواعي للقرآن والسنه المطهرة على نشر الجدل العقلي الحر الهادف إلى الإقناع ، والذى منه تكونت المدارس الكلامية المتعددة . (٤)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٠ .

(٢) سورة الطور الآية ٣٥ – ٣٦ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٢٠ – ٢١ .

(٤) انظر: بحوث في الفلسفة الإسلامية – د/ محمد الانور حامد عيسى ط ١٩٩١ صـــ٢٥.

٣ – أما عن الزعم بأن أرسطو كان هو الفيلسوف الوحيد الذى تأثر به المسلمون فهذا زعم بعيدٌ عن الحقيقة ، وذلك لأن فلاسفة المسلمين قد أُعجبوا بفلسفة أرسطو كما أعجبتهم فلسفه اليونان وغيرهم كفلاسفة الفرس والهنود .

فمن الخطأ أن نظن أن الفلسفة العربية هي نسخة منقولة عن مذاهب المشائين ، ففلاسفة العرب نحوا في البحث عن الوجود منحى مستقلاً كما زعم الشيخ مصطفي عبدالرازق . (١)

٤ – أما قوله : إن العرب فيهم ميل إلى التأثر بالأوهام ، وهذا ما عاق تقدمهم الفكري ، فهذه دعوى بلا دليل ، وإن صحت فهي حكم بالجزء على الكل ، وأن هذا الأمر لا يحدث إلا لعوام الناس في كل أمة من الأمم لا يقتصر على الأمة الإسلامية فقط .

وأخيراً نقول : إن الفكر الإسلامي مثل غيرة من الأفكار والفلسفات، بل إن هذا الفكر قد ساهم في إقامة حضارات كثيرة على رأسها الحضارة الأوربيه ، فهذه النظرة الأوربيه دليل على ضيق أفق الغربيين وخشيتهم قول الحق ، والاعتراف للعرب بفضلهم ، وأنهم قصروا الفكر الفلسفي الإسلامي في دائرة واحده لم يتخطوها ، وهي الفلسفة الإسلامية على طريق اليونان ، ورفضوا الاعتراف بأنه كان لدى المسلمين تفكير خالص صدروا فيه عن ذاتهم ، وتفكير تنسيقي كان لهم فيه أيضاً حظٌ من الابتكار.

---

(١) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – الشيخ مصطفي عبدالرازق صـ ٢٥ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وأشكره على أن منَّ علىَّ بإتمام هذا البحث وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فقد توصلت من خلال بحثى هذا إلى عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلى :

أولاً النتائج :

١- الفكر الأوربي في كثير من جوانبه ، وخاصة العلمية منها هو امتداد طبيعي لما أخذه من الحضارة الإسلامية ، يوم كانت الحضارة الأولى التي علمت الغرب ، وفتحت له مسالك العلم الحديث .

٢- للموضوعية التاريخية والعلمية لا يمكن إنكار أثر العلم الإسلامي في الفكر الأوربي والحضارة الغربية ، وأن الاهمال النسبي للعلم الغربي هو جزء من إهمال تاريخ العلم بوجه عام .

٣- أننا نعانى اليوم من فقر فكرى واضح ، نعانى من جدب عقلـــي ، وأعتقد اعتقاداً راسخاً أنه بالإمكان تجنب هذا الفقر الفكري ، والابتعاد عن حاله الجدب العقلي بالرجوع إلى فلسفة علماء الاسلام الذين كانوا يعتزون بالعلم ، وما أحوجنا أن نستفيد من دفاع هؤلاء عن العلم ، فان هذا أفضل لنا ، إننا لو فعلنا كذلك لما وجدنا ما يشيع الآن في عالمنا العربي من تيارات تسخر من العلم ، تسخر من الحضارة ، إن هذه التيارات الخرافية واللاعقلية ، إذا قدر لها الاستمرار والنمو ، فسوف نصبح اضحوكة بين الأمم .

٤- نحن بصدد الدفاع عن حق نسب الفضل في تطور أوربا إلى تأثير

علماء المسلمين ، ونظرياتهم التي فتحت طرق جديده للعلم والمعرفة، فالتشريح والجراحة ، وأدواتها المستخدمة ، وخيوط الجراحة ، وبناء المستشفيات ، واستخدام المعادلات الرياضية ، ونظريه ابن الهيثم في الضوء التي مهدت لنظريات نيوتن في الضوء كلها ، توضح أثر العلماء المسلمين واختراعاتهم التي أسهمت حضارياً في تقدم الحضارة الغربية

٥- ادعاء أن المسلمين لم يكن منهم إلا النقل عن حضارات اليونان وغيرهم ، ادعاء مناف لطبيعة التنامي والتكامل بين الحضارات ، ومناف لواقع حال الأمة الإسلامية في تاريخها الحضاري .

٦- إن للمسلمين إسهامات لا يمكن أن تكون الفلسفة الإسلامية بسببها مجرد تقليد للثقافات المتعددة التي اختلط بها الإسلام ، وتفاعل معها، فحكم كهذا لدى بعض المؤرخين يعد تصوراً خاطئاً .

٧- من الخطأ أن ننظر إلى أوربا على أنها هي فقط العالم الحديث ، ومن الحماقة أن نقول إن تاريخ أوربا هو تاريخ هذا العالم ، فإن أوربا وسائر القارات الأخرى للمسلمين العرب كثير جداً ، وكان يجب على أوربا أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد ، لكن التعصب الديني ، واختلاف العقائد أعمى عيونها ، وترك عليها غشاوة .

٨- من الخطأ أن نقابل بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية ، وأن تتهم المسلمين العرب بنقص في فهم العالم ، وتفسيره تفسيراً فلسفياً، كذلك ليس من العدل أن نصف العلوم العربية بأنها تقليد أعمى للعلوم اليونانية .

٩- المسلمون العرب هم المخترعون الحقيقيون للأبحاث التجريبية ،

والمنهج التجريبي .

١٠- إذا كان المسلمون قد طردوا المستعمرين من جميع بلادهم ، فعليهم أيضاً أن يطهروا ميدانهم الفكري الخاص بهم من الاستعمار الغربي .

١١- ولئن كان الاعتراف بالجميل صعباً على النفس ، فإن من الواجب أن نعترف أن دور الكتب في أوربا حفظت لنا كثيراً من البقية الباقية من هذا التراث ، وأن فيها من ذخائر المؤلفات العربية مالا يوجد في العالم الإسلامي كلة الآن .

١٢- إن التاريخ يثبت ويؤكد أن المسلمين العرب بمؤلفاتهم العظيمة هم أساتذة أوربا ، وأن الكتب العربية الطبية وتعرف أوربا عليها ساهمت في بعث الأوربيين من الموت إلى الحياه فكل مستشفى بنظامه ، وكل معمل كيمائي ، وكل صيدلية وكل مخزن أدوية إنما هو تذكار للعبقرية العربية الإسلامية وخاصة الطبيبين العظيمين وأستاذي أوربا ألا وهما الرازي وابن سينا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ثم الصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم جل من أنزله .

١. أثر العرب في الحضارة الأوربية تأليف د/ جلال مظهر دار المعرفة .

٢. أراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي – مكتبة صبيح بالقاهرة

٣. الإرشادات والتنبيهات – ابن سينا – مؤسسه النعمان – بيروت – لبنان .

٤. بحوث في الفلسفة د/ يحيى هاشم حسن فرغلي – مطبعة عبير – حدائق حلوان – القاهرة .

٥. بحوث في الفلسفة الإسلامية د/ محمد الانور حامد عيسي ط ١٩٩١.

٦. التفكير الفلسفي في الإسلام د/ عبدالحليم محمود ط الثانية دار المعارف .

٧. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس د/ خليل إبراهيم السامرائي د/ عبدالواحد ذيون طه ، د/ناطق مصلوب الناشر – دار الكتب الجديدة بيروت – لبنان .

٨. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د/ محمد على أبو ريان دار المعرفة الجامعية .

٩. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون – عمر فروخ – ط الاولى ١٩٧٣ دار العلم للملايين .

١٠. تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ القرن الثامن حتى يومنا هذا – د/ ماجد فخرى – دار المشرق – بيروت .

١١. تاريخ الفلسفة الإسلامية دى بور – ترجمة عبدالهادي أبو ريده دار النهضة – بيروت.

١٢. تاريخ الفلسفة الحديثة د/ يوسف كرم – دار المعارف .
١٣. الحضارة الإسلامية – د/ أحمد عبدالرحيم السايح ط العاشرة جـ ١ – الناشر – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
١٤. الحضارة الإسلامية ، اسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ، ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم د/ عبدالرحمن بن حسن الدمشقي – دار القلم – دمشق .
١٥. الحاوي في الطب – أبو بكر محمد بن زكريا الرازي – المحقق – هيثم خليفة طعيمي – الناشر دار أحياء التراث العربي – لبنان بيروت.
١٦. دراسات في الفلسفة الإسلامية – السيد / محمد عقيل المهذلى دار الحديث بالقاهرة .
١٧. دراسات في الفلسفة الحديثة د/ محمود حمدي زقزوق – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .
١٨. الشفاء ابن سينا تحقيق د/ قنواتي وأخرين ط – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٩. شمس الله تشرق على الغرب د/ سيجريد هونكه – ترجمة وحققه – فؤاد حسنين على – دار العلم العربي .
٢٠. الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د/ محمد محمود ، دار السعودية ، جده ، للنشر والتوزيع .
٢١. الفلسفة الإسلامية د/ حامد طاهر – دار الثقافة العربية بالقاهرة.
٢٢. الفلسفة الإسلامية – د/ احمد فؤاد الأهواني – الهيئة العامة للكتاب.
٢٣. الفلسفة الحديثة – نازلي إسماعيل – مكتبة وهبة بالقاهرة .

٢٤. الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية د/ عاطف العراقي – دار الرشاد بالقاهرة .
٢٥. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د/ إبراهيم مد كور جـ ٢ دار المعارف .
٢٦. لمحات من تاريخ الفلسفة الإسلامية د/ زكريا إمام الدار السودانية للكتب .
٢٧. مقدمة ابن خلدون – العلامة ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون – تحقيق عبدالله محمد الدرويش ط الأولى دار يعرب .
٢٨. مقتطفات من كتاب من روائع حضاراتنا – المؤلف – مصطفي بن حسني السباعي دار الوراق للنشر والتوزيع – بيروت .
٢٩. الموسوعة الفلسفية من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية د/ محمد عبدالرحمن مرحبا – المجلد الثاني – عويدات للنشر والتوزيع والطباعة – بيروت – لبنان .
٣٠. مناهج البحث في العلوم السياسية د/ محمد محمود ربيع – ط الثانية مكتبه الحلاج – الكويت .
٣١. منهج البحث العلمي عند العرب في مجال البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، جلال محمد موسى بيروت ١٩٧٢ .
٣٢. نشاه الفكر الفلسفي في الإسلام د/ على سامى النشار ط التاسعة جـ ١ دار المعارف .
٣٣. النفس عند ابن سينا – د/ محمد نصار ضمن حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – العدد الاول ١٤٠١ – ٩١٨٠.